307

بكري سلامه

دار الكنزي النشر والتوزيع

obeikan.com

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح

المدير العام
إيناس الدسوقى

الطبعة الأولى
الكتاب : 307
المؤلف : بكري سلامه
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم غلاف : إسلام مجاهد
إخراج : دار الكنزى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٨٣٥٢ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 4 - 31 - 6599 - 977 - 978

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikan.com

إهداء

إلى أبى وأمى اللذان طالما أحبا أن يرانى سعيداً، وهما في سبيل ذلك لم يملكا غالٍ أو نفيس إلا قدماه لى، لطالما ساندانى فى أىً شيئ أردت..

إهداء إلى أشقائي وعائلتى كلها وأصدقائي الذين ساعدوا بكل شيئ حتى خرجت تلك الرواية إلى النور، فلن أسمى منكم أحد حتى لا يتسنى للشيطان فرصة أن ينسينى اسما منهم..

obeikan.com

«أكبر أعدائك هوالضباب والبقية تولد من رحمه»

«٣٠٧»

obeikan.com

شكر وتقدير

ربمـــا لم أحظى بأخت لأبى وأمـــى، لكن الله لم يحرمنى من أن أحظى بتلك النعمة، تلك الآية البشـــرية، التى دعمتنى وساندتنى، حتى دفعتنى وبكل قوة إلى أن ادخل عالم الأدب وإن كنت شيئا صغير فى هذا البحر الواسع الهادئ أمواجه البعيد قعـــره، أما عن مقولة رب أخ لك ولدته المواقـــف والأيام فأراه متمثلاً فى رفاق درب الحياة (محمـــد عزت)، فبعد شـــكر الله أولا وآخـــيرا ثم والدي وعائلتى كلها، أشـــكر كل من دعمنى»..

إهداء خاص

إهداء يحمل فى طياته شكراً عميقاً،، عن لسان كل شاب صاحب حلم يسعى لتحقيقه فى ظل توحش دور النشر واستغلالها لإحلام أصحاب الموهبه أهدى هذا العمل إلى (دارالكنزي)،، بقيادتها الشابه التى حملت على أكتافها مهمة مساندة الشباب والسعي لتقديمهم إلى جمهور القراء بشكل يليق دون أى استغلال لهم ولا بهدف التربح وإنما لأنهم أصحاب رسالة يسعون لتحقيقها،، ألا وهى إثراء الوسط الأدبى وضخ دماء جديده فيه.

شكر خاص جدا للأستاذ الصديق:

(محمد صلاح شديد)

وأ/ (إيناس الدسوقي)

ولكل فرد من أفراد فريق عمل (دار الكنزي)

تشرفت بالعمل معكم وسعادتى لا توصف بهذا التعاون المثمر بإذن الله

obeikan.com

أنهى (حاتم) عمله فى شركة المقاولات،، التي يعمل بها محاسباً والتي إلتحق للعمل بها بعد تخرجه من كلية الهندسة جامعة القاهرة، لا تستغرب فكعادة أبناء بلدته لا أحد يعمل فى مجاله....

وبعد إنهائه لوجبة غدائه فضّل (حاتم) أن يستأذن مبكراً لشعوره بدوار شديد أفقده توازنه، فغادر الشركة متوجهاً صوب موقف الحافلات ورغم ما يمر به من إرهاق شديد هرول مسرعاً إلي الموقف ليحاول إيجاد مقعدا شاغراً في الحافلة يستطيع الجلوس فيه ،،ليستريح من تعبه الذى بدا واضحاً على قسمات وجهه ، وما إن وصل إلى الحافلة حتى وجد بصعوبة وتدافع لا يتناسبان مع حالته الراهنة مكان يستطيع الوقوف فيه، وذلك بعد أن شُغلت مقاعد الحافلة بالركاب، فلم يُفضّل الإنتظار للحافلة القادمة، لأن التعب قد إرتسم على صفحة وجهه للحد الذى جعل تلك الفتاة صاحبة الشعر الأشقر والتى إحتضن النمش معالم وجهها، كإحتضان الشمس لهالة الضوء حولها وكانت تجلس فى مقعد يتوسط الحافلة تنادي عليه فور أن رأته ليجلس مكانها، فبدا صوتها كصافرة النجاة التى تريحه من تعبه لكنه بعادته آثر الوقوف بدلاً من أن يجلس مكان فتاة ويتركها وسط الزحام الذى تعج به الحافلة..

إلا أن الفتاة مارست طريقتها فى إقناعه وأخبرته بأنها ستنزل فى المحطة القادمة فوافق (حاتم) على دعوة الفتاة له بالجلوس، وما إن جلس وأسند رأسه إلى النافذة التى أغلقها فور جلوسه حتى وجد نفسه يهبط من مدرج الطائرة فى مدينة «وارسو» البولاندية،، وقف يجول بنظره فى كل أرجاء المطار مستغربا الموقف يدقق فى الجملة المكتوبة على الطائرة «طيران بولندا»، ويذهب بناظريه إلى الحروف المنقوشة على مدخل صالة المطار

«مرحبا بكم فى مدينة وارسو»، فأخذت الأسئلة تتدفق إلى رأسه، ما الذى يحدث؟، أين أنا ؟، ما الذى أتى بى إلى هنا؟

يرى نفسه فى مكان يهبطه لأول مرة من طائرة يتذكر أن آخر لقاءاته بها كانت من خلال شاشة التلفاز، بدأ المدرج يخلوا رويداً رويداً من المسافرين الذين كانوا معه على متن الطائرة، وفى إستجابة مباشرة لإشارة من عقله تحركت قدماه خلف رفقاء الطائرة، التى لا يتذكر كيف كانت رحلته بداخلها، فأول مشاهده كانت المدرج،، توجه مع باقى المسافرين إلى النافذة التى يجلس خلفها الضابط المسئول عن مراجعة هويات المسافرين وتصريحات سفرهم، إصطف فى طابور طويل أمام تلك النافذة يتصفح وجوهاً لم يشاهدها من قبل، وبدأ فى سؤال نفسه كيف سيتحدث مع الضابط بلغة غير لغته ثم قال بصوت لا يسمعه إلا هو: - أعتقد أنى سأحتاج لكل كلمة تعلمتها فى الإنجليزية الآن.

آثر إلتزام الهدوء وعدم لفت الإنتباه، حتى يخرج من المطار، إنتهى الطابور سريعاً ،،ووجد نفسه فى مواجهة الضابط فطلب منه أوراق سفره ليعتمدها له، تعجب (حاتم) فى كونه لم يجد صعوبة فى إدراك ما قاله الضابط ، مد (حاتم) يده فى جيب سترته الداخلى والذى إعتاد أن يحمل بطاقة التعريف بالهوية داخله، ثم أخرج له جواز سفره وقد إعتلى محياه آمارات البلاهة وإتسعت عيناه لتكشف عن حدقتيه اللتان فضحتا حالة اللاوعى التى يعيشها، وهو يسأل نفسه بصوت لم يغادر حنجرته:متى إستخرجت هذا الجواز؟

كان ذلك قبل أن يقاطعه الضابط بقوله:- مرحبا بعودتك سيد (حاتم)، أخذ (حاتم) جواز مروره إلى وارسو وأعاده إلى حيث كان، وما زالت علامات الدهشة تعترية ولا يدور فى رأسه سوى سؤال واحد لماذا جاء إلى هنا ؟!!

ثم عزم المسير إلى الخارج بخطوات أثقلها تأمله لصالة المطارالواسعة، فهو لا يتذكر رؤيتها من قبل، ربما لا يتذكر أنه دخل إحداها قبل هذه المرة،، وقف (حاتم) مليا أمام أبواب المطار وأخرج جواز سفره وطفق يدقق فى كافة بياناته فها هي صورته وهذا اسمه (حاتم محمد الطحان) ثم ذهبت عيناه إلى خانة الوظيفة ليجد منقوش فيها مهندس، كما أن هناك اسم للشركة التى يعمل بها،، شركة «إيزيدور للبرمجة» - بالطبع أنا- هكذا رد (حاتم) على نفسه مستنكراً وجوده فى هذه المدينة، ثم بدأ فى الحديث مع نفسه متسائلاً: مالعمل الآن؟

ليس هناك خيار سوى الذهاب إلى مكان عملى فى الحال، علها تكون شركة لها من الشهرة ما يسهل الوصول إليها،، هنا قرر (حاتم) بعد أن إطمأن أنه يحمل مبلغا من المال، علم من هيئته أنه «الزلوتى» -عملة بولندا- ، فعمله كمحاسب أكسبه دراية بأنواع العملات المختلفة، أوقف إحدى عربات المستأجرة المتراصة أمام مدخل المطار، ويسأل سائقها إذا كان بإمكانه أن يدله على موقع هذه الشركة، أعاد جواز سفره إلى مهجعه فى السترة التى يرتديها، وتأمل المكان جيداً ثم قال بصوت واضح وعيناه تحدقان في الشارع أمام المطار: - بالتأكيد ليست مصر...

بدأ (حاتم) فى إستجماع بعض الكلمات من قاموسه اللغوى، وترتيبها، حتى يتسنى له مخاطبة سائق العربة، لكنه وجد رجلا يهرول إليه أمام باب المطار فى مفاجأة أنست (حاتم) الكلمات التى إسترجعها، ثم قال له: - هيا يا سيدى أنا فى إنتظارك منذ ساعات قليلة، لم يتعجب (حاتم) من الرجل قدّر تعجبه لفهمه السريع لما قاله، وأنه يمتلك القدرة لمجاراته فى الحديث،، الأمر الذى جعله يفكر أين إكتسب هذه الطلاقة فى الإنجليزية،،!!

وبعد أن توقف «الليموزين» الذي سينقله إلى مكان عمله الجديد كمهندس حقيقي، قام بوضع حقائب سفره فى الخلف، ثم أغلق الباب ليركب،، وإذا بعينيه تقع على منظر لم يعتد عليه منذ اللحظة التى حل بها فى هذه البلد وهو تلك الفتاة التى قد تبدو عربية، إتضح ذلك من ملبسها،، فهي ترتدى زياً يختلف عن نساء تلك الدولة،، يستر جميع جسدها وتغطي رأسها بحجاب،، إتجه نحوها؛ فهو يريد ملاقاة أى أحد يشعره بأنه ليس وحيداً فى تلك المدينة،،انطلق مسرعاً وسط ندائات صاحب «الليموزين»:- سيدى سيدى إلى أين أنت ذاهب؟

وما أن وضع يده على كتفها لتلتفت إليه إلا وقد أصيب بتلك الرعشة التى سرت فى أوصاله و المختلطة برعب شديد ..

ليجدها (فاطمة) التى أحبها في مدرسته الثانوية بمركز بلبيس محافظة الشرقية،، ظل عاجزاً عن النطق، وكأن أحد عقد على لسانه، أو أنه قد أصيب بالبكم فى الحال،، عيناه مازالت تتسع لتنم عن التعجب الواضح مما يشاهده، وإستمر على هذه الحالة حتى أفاقه صوت اصطدام شديد لينظر عن يساره ويجد تلك الحافلة التى قلبت رأساً على عقب ثم عاود النظر مرة أخرى إلى الفتاة أمامه ليقول لها:- لا تذهبى بعيداً سأواتيك فى الحال ريثما أعرف مالذى يحدث، وبعد ذهابه وجد رجلًا ملقى على الأرض بجانب الحافلة تغطى ملامح وجهه بقع الدم المتناثرة عليه، لكنه بدا متقدماً فى السن، إتضح ذلك من شعره الفضى الذى لم ينل الزمان منه حظاً سوى تغيير لونه، هرول مسرعاً تجاهه وعرف من صدره الذى يعلو و يهبط مع أنفاسه المتسارعة أنه يحتضر وينادى عليه كأنه يعرفه، فلم يُلقى بالاً فكيف لرجل يراه لأول مرة فى مدينة يهبطها لأول مرة أيضاً أن يعرفه، كل مايهمه هو تقديم المساعدة، فأجابه قائلا: - أُصمت حتى وصول الإسعاف،، لكن المسن لم يهتم بما يقوله (حاتم)

ورد عليه قائلاً:- (حاتم).. مالذى أتى بك إلى تلك المدينة فى هذا الوقت، كان عليك الإنتظار فى باريس فقط يومين، غادر ولا تذهب ورائها،.

- من الواضح أن الأمر قد إختلط عليك لابد وأنى أشبه رجل تعرفه، هكذا رد عليه (حاتم) قبل أن يقاطعه الرجل:- وهل الآخر أيضا اسمه (حاتم)، ،،هنا تلاقى حاجبيه المهذبين حد الإصطناع بإستغراب، ثم قال: - هل تعرفني ؟ ومن تلك التى لا أذهب ورائها؟ وما شأن تلك المدينة !!

فملأ الرجل صدره بشهيق كبير حتى يجيبه لكنه كان آخر متنفس له فى الحياة .. كان (حاتم) قد رفع رأس الرجل على ركبتيه قبل أن يضعها مرة أخرى أرضاً بعد أن فارق الرجل الحياة، وعادت علامات الدهشة تصف محياه وفى رأسه جيش من الأفكار تتزاحم، قبل أن يقطع شروده تذكره لـ(فاطمة) ويعود إليها مسرعاً ليجدها قد ذهبت، فأخذت عيناه تبحث فى محيط المكان الذى يقف فيه حتى أنه قد ذهب بعض الخطوات فى الإتجاه التى كانت ذاهبة منه، قبل أن يدرك فشل محاولاته البائسة فى إيجادها فى هذه المدينة التى يخطو شوارعها للمرة الأولى،

- أين تلك الفتاة التى كنت أقف معها؟

فأجابه: - لقد ذهبت تاركة لك هذا المنديل الأحمر كما أنها تركت لك رسالة مفادها أنها ستنتظرك فى المكان الذى أهديتها إياه أول مرة..

هنا رفع (حاتم) حاجبيه بالتناوب معبراً عن دهشته مما قد سمع، ثم بدأ فى عمليات عصف لذهنه ، وشحذ لذاكرته فى محاولة منه لتذكر أين أهداها ذلك المنديل ، قبل أن ينبهه صوت عقله قائلا: أنا لا أتذكر أنى قابلتها هنا وأهديتها ذاك المنديل الذى دون عليه الحروف الأولى من إسمينا«**H.F**» .

دقـق (حاتـم) فى سـاعته، وجدهـا تخطـت الثالثـة ليسـتقر مـؤشر الدقائق عـلى الرقـم (سـتة) فقـال بصـوت لم يسـمعه إلا هـو:- أيـن سـأذهب؟، فمـن غـير المعقـول أن تكـون الشركـة مسـتمرة فى العمـل إلى الآن، سـأطلب مـن السـائق أن يقلنـى إلى أى فنـدق حتـى صبـاح الغد،،،هنـا سـمع صـوت أجـش جهـورى وهـو صـوت السـائق يقـول لـه :- هـل سـتذهب إلى الفنـدق أولا أم إلى العمـل؟ ولابـد أن تزيـد الأجـرة، فالفنـدق قـال لي إني سـأقلك فى الثالثـة وهـى الآن أوشـكت عـلى الرابعة،،هـذه اللحظـة التـى جعلتـه عـلى يقـين بأنهـا لم تكـن المـرة الأولى لـه بـ(وارسـو) وأن ذلـك السـائق يعـرف أيـن يقلـه وهنـاك فنـدق إعتـاد عـلى النـزول فيـه.

ركـب (حاتـم) فى المقعـد الخلفـى للسـيارة، لكـن عينـاه قـد إنشـغلت فى هيئـة السـائق عـن التدقيـق فى معـالم المدينـة التـى يزورهـا للمـرة الأولى على حـد إعتقـاده، فـما شـغله أن السـائق بـدا فى صـورة لم يعتدهـا فى أى سـائق، فـكان يرتـدى زيـا رسـمياً ينقصـه فقـط رابطـة عنـق، حليـق اللحيـة، بأنف أفطـس، صاحـب عينـان بندقيتـان، يتـدلى جـزء مـن شـعره البنـى مـن تحـت غطـاء رأسـه الـذى صممـ عـلى طـراز القبعـات البريطانيـة، تفـوح منـه زخـات عطـر تسـقط لهـا أى فتـاة عشرينيـة، ومـع ذلـك فهـو لم يكـن طويـل القامـة أو حتـى ممشـوق القـوام، لكـن مـن شـأن أناقـة مـا يرتديـه أن يغفـل أى أحـد فى التدقيـق فى طولـه أو حجمـه.

وصـل (حاتـم) إلى ذلـك الفنـدق الـذي سـيقيم فيـه وهـو غـير واعٍ لمـا يـدور حولـه، أخـذ يتأمـل واجهـة الفنـدق، والتـى كانـت تزينهـا صـوراً ونقـوش فرعونيـة،، بـدا مـن مظهـره وكأنـه متحـف فرعونـى، دلـف إلى الفنـدق، ووسـط تلـك الحـيرة نسـى أمتعتـه فى السـيارة، فنـاداه السـائق ليأخـذ أمتعتـه فعـاد إليـه وإذا بـه يسـمع همـس مـن السـائق وهـو يقـول لـه عليـك بالإبتعـاد عـن الغرفـة»٣٠٧« ثـم ذهـب مسرعـاً وتـرك (حاتم) ودلالات البلاهـة تفـترش ملامحـه وحيرتـه تتحـول إلى صـداع رهيـب

كاد أن يفتك برأسه، وبعد ما سمعه منه بدا مترددا فى الدخول إلى الفندق، لكنه متعب ولا يعرف شيء عن معالم تلك المدينة الجديدة ....

أخيرا قرر الدخول إلى الفندق لهذه الليلة، خاصة وقد قارب الليل على إسدال ستائره، وسيحاول فى الغد البحث عن فندق آخر، ولم يشغله ماقاله السائق بشأن تلك الغرفة ، قائلا في نفسه ما الذى يجعلنى أبحث أو حتى أقترب منها ؟، لم يكن من ذالك النوع الذى يعتريه الفضول ليرى ما بداخل تلك الغرفة التى حذره السائق منها فأراد الإبتعاد عنها، وما إن دلف إلى الفندق حتى أطلق لمقلتيه العنان فى رؤية كل ركن بداخله....

بهو واسع يربض فى منتصفه تمثال فرعونى يحاكى تمثال أبو الهول، سقف دائرى تفترشه زهرة اللوتس، ويرتكن على أعمدة عملاقة تملأها نقوش فرعونية تشابهت مع النقوش الموجوده على واجهة الفندق، ويقبع خلف التمثال الذى توسط بهو الفندق مكتب إستقبال كبير تقف خلفه إمرأة أربعينية، شعرها أملس ينسدل على كتفيها، وتبرق حمرته من لمسات الزيت الموضوعة عليه، حاجبان مهذبان يشبهان حاجبى «نيفرتارى»، وتمتلك عينان زرقاوان يقطنان خلف زجاج نظاراتها الطبية الرقيقة، إتجه صوبها فارتسمت شفتاها بإبتسامة تنم عن السرور لرؤيته وقالت له :- مرحباً بعودتك يا (حاتم)، هل أنستك باريس «إيزابلا» ؟

إذن (إيزابلا) هو اسم سيدة الإستقبال فانفرجت شفتاه فى إعلان واضح عن جهله بما يسمع لكنه بعد أن رأى أسمها منقوش على قطعة رخام صغيرة موضوعة على مكتب الإستقبال أمامها و فى محاولة منه لتدارك الموقف، أجابها:- بالطبع لا، وهل أنسى (إيزابلا كونور)، وفى داخله يتسائل من تكون (إيزابلا)؟، عندها أعطته مفتاحاً مكتوب عليه رقم الغرفة فتركها وشبح الإبتسامة جاثم على شفتيها، و إتجه إلى الدرج يسار مكتب الإستقبال وهو لا يفعل شيء سوى

أن يـزداد دهشـة، وبضحكـة سـاخرة وهادئـة تعبرعـن وصفـه لمـا يحـدث قـال ليـس بالأمـر الغريـب أن تعرفنـى تلـك المـرأة وبلهجتـه المصريـة تمتـم قائـلا:- (هـي جـت عليهـا)، وأخـذ يمسـك بالمفتـاح ويرفعـه ويخفضـه بيـده فتقـع عينـاه عـلى رقـم الغرفـة المنقـوش عـلى قطعـة الجلـد رماديـة اللـون المتدليـة مـن دائـرة حديديـة صغـيرة تربطهـا بالمفتـاح و علـت وجهـه إبتسـامة تفضـح فرحتـه بأنهـا لم تكـن غرفـة (٣٠٧). كان رقـم الغرفـة ((٤٤٤، فقـال بصـوت يـكاد لايسـمعه هـو: أنـا بعيـد كل البعـد عـن تلـك الغرفـة أيـاً كان ماتحويـه، فالأمـر يبـدو مريبـاً وهـذا هـو الشـئ المفهـوم مـن حديـث السـائق، إن عددتـه مفهومـاً، هكـذا طمـأن نفسـه وأقنعهـا بـألا تقـترب قيـد شـبر مـن هـذه الغرفـة، أو أن تدفعـه للمـرور فقـط بجوارهـا.

ذهـب إلى غرفتـه ليضـع أمتعتـه وفتـح بـاب غرفتـه، حوائـط ذات طـلاء أبيـض يميـل إلى الصفـار، مصبـاح «نيـون» فى وسـط السـقف الـذى كان بنفـس لـون الحوائـط، مكتـب خشـبى عـار ظهـره مـن الأوراق والأقـلام وموضـوع فى مواجهـة بـاب الغرفـة، خلفـه سـتائر بيضـاء يـزدان أعلاهـا وأسـفلها بنقـوش فرعونيـة وفى الجانـب الأيـسر سريـر أنيـق متـين ينـم عـن أن أحـد لم يـرح بدنـه عليـه حتـى الآن.... رأى هـدوء وحيـاة طبيعيـة بالفنـدق فأخـذ يسـأل نفسـه هـل يريـد السـائق تعذيبـي لأنـى أخرتـه!! ومـن شـدة الإرهـاق الـذى يشـعر بـه وحـرارة الجـو ذهـب ليفتـح نافـذة غرفتـه قبـل أن ينـام، وإذا بعينـه ترمـق فتـاة تـكاد تشـبه تمامـاً تلـك التـى أخبرتـه بـأن يجلـس مكانهـا فى الحافلـة، تتراقـص كراقصـات «الباليـه».. بـدت قريبـة الشـبه منهاولكـن ليسـت هـى...

بـدأ فى متابعتهـا متناسـياً تعبـه إلى أن سـقطت عـلى الأرض وهـو فى إنتظـار مـن يأتـى إليهـا لكـن مـرت دقائـق دون أن يظهـر أحـد بجوارهـا فأخـذ يهـرول نـازلا ليخـبر موظفـة الإسـتقبال بـأن تتصـل بالمسـئول عـن الفنـدق الآخـر وتخـبره بشـأن الفتـاة، فـردت عليـه معنفـة إيـاه: لمـاذا فتحـت ذلـك الشـباك ؟

فأجابها: - شعرت بالحر

فقالت: ألم تعلم بأن هذه الغرفة ((٣٠٧!!

فقال:-لا يعنينى، هناك فتاة قد تلقى حتفها..

أخبرته بألا يهتم، فتركها وذهب مسرعاً للفندق الآخر فوجده لا يختلف كثيراً عن فندقه، حتى ظن أن تلك الفنادق قد صممها أحد المهندسين، الشغوفين بعصور ما قبل الميلاد،، ووجد رجل طاعن فى السن يجلس على كرسيه خلف مكتب صغير متكئا على عصا خشبية، فتوجه نحوه ونظرات القلق تتقافذ من عينيه، حتى أنه نسي أن يلقى التحية وأخبره مباشرة بأن أحد النزلاء وهى فتاة فى عقدها الثانى قد سقطت فاقدة وعيها فى غرفة ٣٠٧ وعليه أن يتصل بالإسعاف، وطلب منه أن يصعد ليطمأن عليها حتى وصول الإسعاف و ينظر ما أصابها....

نظر إليه الرجل متهكماً وقال: - إليك عنى أيها الشاب ، إذا أردت أن تسخر منى فالأفضل لك أن تذهب وإلا سأتخذ ضدك موقفاً لن يعجبك...

فرد عليه قائلا:-إعتقد أنى من سيتخذ حيالك موقفاً لن ترتاح له، إن لم تنهض فسأخبر الشرطة بالأمر.

ضحك الرجل ساخراً من ردة فعله ثم قال:

إذهب،، ولكن لا تنسى أن تخبرهم بأن الفندق لا يحتوى على غرفة بهذا الرقم.

عاد (حاتم) وكلمة الرجل تصم أذنه عن سماع أي شيء آخر، ودخل الفندق ولم يتحدث مع أحد وتوجه إلى غرفته،، لحظات وهبت نسمات باردة تراقصت على أنغامها ستائر غرفته فداعبت وجهه، لكنها كانت شديدة للدرجة التى أفاقته من غفوته فأمعن النظر إلى كفيه ليتأكد أنه حلم، ثم عاود النظر إلى النافذة ليجد الفتاة التى رآها .

تفقد وعيها فى غفوته تفتح ثلاجتها وترتشف بعض الماء، فضحك ساخراً من نفسه ثم قال:- يبدو أن كلام السائق أشعرنى بالرعب، من الجلى أن إرهاق السفر قد تمكن منى. سأريح جسدى حتى الصباح وردد فى ذهنه: رعب فى غفوة بسيطه، مابال الأحلام إذا!.

عاود الضحك مرة أخرى قائلا: سيكون الواقع أكثر دهشة فأنا لا أعرف شىء فى هذه المدينة ولا أين يقبع مكان عملي، لكن من المؤكد إنى صرت ذا شأن فى هذه البلدة آخيراً أعمل مهندساً.

وفى السادسة من صباح اليوم الثانى له بـ(وارسو)، سمع (حاتم) صوت بدا كبوق الإستيقاظ فى الجيش لكن ماهو إلا طرقات على باب غرفته فاستيقظ فزعاً نحو الباب، وقام بفتحه ليجد صاحبة الفندق، تقول له: هل إستيقظت آخيرا . تمالك أعصابه من أن يوجه لها أي سباب على فعلتها تلك و قبل أن يفعل ذهبت وهي تتكلم بصوت مرتفع بعض الشئ : قد عاد حاتم وعاد الألم إلى يدي من طرق الباب، لا أعلم لماذا لا يحب ذلك الشخص المنبهات؟

كانت قد وصلت إلى آخر الرواق المفضى إلى درج النزول إلى الأسفل، كما يوجد أيضا مصعد يستخدم فقط لحمل البضائع الخاصة بالفندق وبالطبع صاحبة الفندق، وقبل أن تدلفه التفتت برساله شفوية فحواها:- سائق العمل ينتظرك فى الأسفل ونبَّهك بألا تتأخر.

هنا وجه (حاتم) رأسه إلى السماء شاكراً ربه بأنه سيجد من يدله على عمله وبدا له أنه سيبدو دربا من الجنون إذا سأل الناس أين يعمل؟ فأغلق باب غرفته فارداً ذراعيه قائلا: - لا أتذكر أنى حلمت بعد نومتي الثانية وهذا شيء مبشر، وذهب ليستحم ويرتدي ملابس من أمتعته التى وضعها وكانت لم تعرف طريقها إلى مكانها الجديد الخاص بها(الخزانة) بعد، وظلت حبيسة فى حقائبه، ووضع عن جسده ملابسه الأخرى فى «سلة الغسيل» فرأى المنديل يظهر

من ملابسه، هنا عاد إليه الشرود مرة أخرى والتساؤل مجدداً عن (فاطمة)، ربما لم يكن نسيها لكن آلام السفر تكفلت بذلك مؤقتاً. قاطع شروده مجدداً تذكره لتحذير (إيزابلا) بألا يتأخر...

تجهز وإرتدى زياً رسمياً مؤلفا من قميص أبيض وبنطال أسود وجاكت بلون البنطال ورابطة عنق سوداء أيضاً ونظر فى مرآة طولية موضوعة بجانب سريره مسندة قاعدتها إلى الأرض، وزجاجها يقف دون الإتكاء على شيئ وكأنها تقف فى شموخ، هذب شعره الكثيفاً وخلل سواد خصلاته، جذب ياقته فى حركة لاإرادية، معلنة أناقة من يقف فى مواجهة المرآة....لكنه قبل أن ينزل رمق المنديل بعينيه السوداوتان وكأنه يسأله هل آخذك معي؟ ،، فربما يعرف أحد فى عمل بشأن (فاطمة)، وذلك قبل أن يهتدى إلى قراره بترك المنديل والتنقيب أولا فى مكان عمله عن صديق قد يكون كونه فى هذه البلدة أو ربما من يشاركه مقتطفات عن حياته الشخصية، والتى بالطبع ستكون (فاطمة) حلقة من حلقاتها.....

بدأ في النزول فوجد رجلا يرتدي زى السائق ويجلس على مقعد الإنتظار فى بهو الفندق فأيقن أنه هو، و ركب معه إلى العمل ،،، لم يشعر (حاتم) بطول المسافة فالمبانى الشاهقة والطرق المرصوفة بإحترافية والأشجار التى تزينها ندف الثلج الديسمبرى والمصابيح التى تختبأ فى مغلف زجاجى في أعمدة الإنارة والتى مازالت تتوهج منذ ليل أمس، والشاشات الإليكترونية الضخمة التى تعرض إعلانات مختلفة، ناهيك عن التفكير فى مواجهة أناس يلتقى بهم للمرة الأولى ومن المفترض أنه زاملهم العمل فى هذه الشركة سابقاً قد شغلوه عن قياس المسافة بين الفندق ومقر الشركة،، وما إن وصل حتى أذهله شكل الشركة التى سيعمل بها، مبنى ضخم تتوسطه لافتة كبيرة مدون عليها «إيزيدور للبرمجة»، توقف قليلا إلى أن أستعاد توازنه وأغلق فمه الذي بدا كأنه يمكن لأي طائر فى الهواء الدخول منه، ثم

دخل الشركة ليجد الجميع يرحب به قائلين: مرحباً بعودتك وتهانينا لنجاحك في الحصول على الشراكة مع شركة باريس.

هنا كعادة (حاتم) الجديدة وهي الذهول، قال فى داخله: الأمر ليس فقط أننى جديد فى (وارسو)، بل أننى كنت فى باريس، أعتقد أنى لم آراها حتى فى أزهى أحلامى،، ثم يسمع صوت أحد زملائه الجدد الذى عانقه فور رؤيته يتردد صداه فى أذنه قائلا:- هل جئنت من ذلك الفندق الخرب؟،، لا أعلم لما رجل فى مكانتك يرتاد مثل ذالك المكان؟

هنا سمع إجابة من خلفه تخرج من فم تلك الحوراء البولندية وتقول:-لا تتفوهوا بتلك التراهات وكأنكم لاتعرفون فالكل يعلم أنه لن يترك الفندق بسبب زوجته الأولى، ثم سمع من حوله فى المكتب صوت قاطع حديثهم المترامى حول حياة (حاتم)، فسلم بكلتا يديه على خديه متسائلاً هناك زوجة ألا يكفينى ماحدث حتى تكون هناك زوجة،، وذهب شروده بشرود آخر،، ماهذا أنا لا أعلم أى من هؤلاء ولا حتى أسمائهم؟

وبعد ما سمع ذلك الخبر الذى حل عليه كالصاعقة قرر (حاتم) أن يفهم ماذا يحدث ولماذا لا يستطيع فهم ما يحدث من حوله؟ ولماذا يعتقد أنه لم يرى كل هؤلاء الناس من قبل، ووسط غياهب الشرود الذى غرق فيه وكأن الموج قرر أن يلاطفه بطريقته، بأن تحمله موجة وتدفنه أخرى، سمع صوت أنثوي قادم من أمام غرفة مكتوب على بابها «رئيس مجلس الإدارة»، وكان صوت مديرة مكتب مدير الشركة التى نبهته بأن يدخل إلى مكتب المدير قبل الشروع فى عمله،، ذهب (حاتم) متناسياً زملائه وشكل المبنى متوجهاً مع السكرتيرة إلى المكتب، وما إن إستأذن للدخول إلا ووجد ذلك الرجل الذى بدا كممثل فى الستينات، شعر بنى إلى جانب شعيرات بيضاء

توحى بقدوم المشيب مفروق من الجانب الأيمن، أنف مدبب، عينان سودوان، وشارب كث أسفل أنفه يكاد شعره يغطي شفته العليا، ينتفض من على كرسيه فارداً ذراعيه ليحتضنه بقوة ويقول: أنجزت مهمتك بنجاح هنيئاً لك، سوف أقرر منحك أجازة الشهر الذى قد وعدتك إياه قبل موعد الزفاف،، قال (حاتم) بصوت خافت لم يسمعه سواه: هل هذا الرجل الأشيب يريد أن يتزوج مرةأخرى؟! يتزوج فى هذا السن ، ربما يكون إبنه أو إبنته ثم تابع : عندي الكثير لأشغل بالى فلماذا أفكر فيما يقول أو ما يخص غيرى؟

قرر (حاتم) العودة إلى الفندق ليبدأ فى وضع خطة لفهم ما يجرى حوله لكنه فى طريق عودته قد فضل النزول من السيارة ليترجل المسافة المتبقية والتى كانت تبعد فقط خمس دقائق عن الفندق وهو الشارع الذى يكاد يعرفه فى تلك المدينة وأثناء سيره وجد بائع للكتب على ناصية الطريق ولفت نظره كتاب بعنوان : - «لا تكن غريباً فى وارسو»

فقرر رؤية هذا الكتاب فذهب مباشرة إلى صفحة الفهرس ليجد عناوين لموضوعات ستفيده جيداً، كخريطة (وارسو) وأشهر الأماكن والمطاعم وأشهر القوانين الخاصة للمخالفات، وهنا قرر (حاتم) شراء ذلك الكتاب ثم عاد إلى الفندق ووجد السيدة التى عهدها فى الإستقبال وكانت تجالس فتاة فى التاسعة من عمرها نطقت فور رؤيته سيدى هل سيعقد الزفاف هنا؟ فأنت تحب الفندق أليس كذالك؟ وهنا قال(حاتم)

- زفاف من يا صغيرتى؟!

فقامت السيدة بإسكات الفتاة بقوة وقالت له:

- من فضلك إذهب فهذه الفتاه ذات حس مرح تحب ممازحة الجميع.

إنطلق (حاتم) إلى غرفته، وجلس عليى الكرسي خلف المكتب، وأخرج ثلاث ورقات وقلم إلى جانب المنديل الأحمر وكتب على الأولى (فاطمة) والثانية زوجتي الأولى والثالثة سائق الليموزين ثم رتب تلك الوريقات بجوار بعضها وبدأ فى تصفح معالم الكتاب حتى يبدأ خطته فى معرفة كل شيء يحدث معه، وقرر البدأ بسائق الليموزين الذى يعتقد بأنه يعرف عنه الكثير..

ظل (حاتم) قرابة النصف ساعة يقرأ إلى أن وصل إلى تلك الصفحات المتعلقة بقوانين المخالفات ليجد فيها بنداً غريباً وهو أنه لايجوز للرجال المتزوجين بتلك البلدة الزواج على زوجاتهم، هنا تذكر أن صاحب العمل يرتدي خاتم الزواج ويخبره بأنه سيعطيه شهر أجازة قبل الزواج وكلام تلك الفتاة حديثة السن عن مكان إقامة الزواج ليقول بلهجته المصرية .

– «شامم ريحة مصيبة»

لابد من إيجاد السائق على وجه السرعة حتى أتمكن من فهم مايدور حولي، فعلى الرغم من أن زوجته السابقة كما أدعت زميلته بالمكتب كانت تقطن بذات الفندق لكن فضل البحث عن السائق لسببين، الأول لأنه يعرفه ويعتقد أن السائق يعرف عنه الكثير، وثانياً أنه حتى لا يعرف من هى زوجته الأولى، لكن المشكلة أنه لا يعرف إسم ولا عنوان للسائق وظن أن إدارة الفندق تعرفه، فهم من كلفوه بأن يقله إلى هنا، فأراد سؤالهم بطريقة لا تلفت انتباههم فهو يريد البحث دون أن يلفت إنتباه أحد، أو أن يثير أدنى شك قد يعرقل مسعاه فى معرفة هويته فى تلك الدولة.

وما إن استقر على الطريقة التى سيسأل بها عن السائق إلا وقرر النزول إلى إدارة الفندق ثم وجه إلى إيزابلا سؤالا وهو مرتبك: – هل رأيتى هاتفى النقال؟

فأجابته: - لم أراه هل بحثت فى غرفتك جيداً؟

أجابها: - نعم ولا أملك الوقت الكافى أريد الإتصال بالسائق الذى أقلنى إلى الفندق أمس، وأريده فى الحال، هل ترك لديكم رقمه أو تعرفينه أو أي شيء من هذا القبيل؟

فردت عليه قائلة: - لا أملكه ولكن إنتظر فأنا أملك رقم الشركة التى يعمل بها، وأخرجت له بطاقة تحمل إسم ورقم شركة السيارات التى يعمل بها السائق همَّ أن يتصل بهم إلا أنه تردد لأنه لا يعلم إسم السائق فكيف له أن يسأل عن شخص مجهول وينتظر إجابة دقيقة، فواتته فكرة بأن يأخذ عنوان الشركة وينتظر أمامها إلى أن يلمح ذالك السائق، فأخذ فى عجالة يدون إسم الشركة على ورقة وأسرع فى الذهاب إلى هناك فبعد تصفحه للكتاب الذى يتحدث عن معالم تلك المدينة كان من السهل عليه الوصول إلى مقر الشركة .

وصل (حاتم) إلى مقر الشركة التى يعمل بها السائق وجلس على إحدى الإستراحات المواجهة للشركة ينتظر ظهور السائق وبعد مرورعشر دقائق أو أقل، وجد (حاتم) السائق يخرج من باب الشركة متوجهاً نحو سيارته ليبدء رحلة عمله اليومية، فقرر التوجه مسرعاً إلى السائق وقال له: - قبل أن أبدأ معك الحديث لن يكون عليك الخروج والبحث عن زبائن اليوم فأنا سأعطيك أكثر من يومك المعتاد، هنا بدا على وجه السائق الإرتياب من الظهور المفاجيء لـ(حاتم) ولم يستطيع أن يرد عليه وما كان منه إلا التحجج بأنه يريد إيصال عميل آخر وأنه سيتأخر وهمَّ السائق بالدخول في السيارة مسرعا، لكن (حاتم) فاجأه بسرعة أكبر ودخل هو الآخر إلى السيارة ولم يجد السائق بُد من الذهاب معه خاصة بعد إلحاح (حاتم) الذي بدا وكأنه توسل،، وما إن انطلق السائق حتى قال (حاتم) بصوت خرج بعد تنهيدة تنم عن حيرة شديدة،،.....

قد تتعرض لمواقف كثيرة سيئة لدرجة أنك قد لاتستطيع أن تتذكر أيهم أسوء بل قد يحدث ذلك نوعاً من اللا مبالاة،،إيماناً منك أنك ستتعرض لما هو أسوء مما أنت فيه الآن، أو ربما لكثرة ما مررت به قد تنسيي هذه المواقف بعضها بعضاً، لكن يكفيك حادث سعيد واحد يولد الأمل المنشود فى داخلك، تلك الإشراقة التي يسببها في روحك لتقتل اليأس بداخلك وتعطيك سبباً للحياة، لعلك لا تدرك ما أنا فيه،فلقد مررت بأكثر المواقف سوءاً لدرجة أننى إعتدت عليها، لكن رؤيتي لـ(فاطمة) هي سبب بقائي هنا، هى من تدفعني للعيش في تلك المدينة الغريبة الأطوار، قالها بالمصرية أنا مشوش إلى الحد الذي يجعلني أتحدث معك بالعربية منتظراً أن تشعر بي توقف أمام أي مقهى لنتحدث في السبب وراء لقياك،،

هنا نظر السائق إلى (حاتم) بشفقة ظهرت فى بريق عينه، وقال له: - إذا أردت الحديث ونحن نجوب المدينة لأيام أنا على إستعداد، لكن حاتم قال له: - لا أحتمل بشاعة تلك المدي...

وبتر عبارته مندهشاً وسأل السائق: - أتتحدث العربية؟! فقال السائق: - سأخبرك كل شيء في وقته وقبل إنتهاء الشهر الذي أعطاك إياه المدير لكن اسمع جيداً لا ينبغي لأحد أن يعرف أمر إلتقائنا، فأنا لا أستطيع تحمل الأمر فمثلى لا يمثل لهم شيء وينبغي أن تمارس حياتك بطبيعتها،،أنا الآن سأتركك، أدلف إلى هذا المقهى وإحتسي شيء ولا تذهب إلى الفندق مباشرة، أعلم أن حيرتك تزداد لكن تذكر جيداً لا داعي لإخبار أحد أو الدخول إلى غرفة٣٠٧).

وقبل أن ينزل من السيارة سأله (حاتم): - وكيف سأصل إليك بعيداً عن الشركة؟

قال:

- ستجد مبتغاك فى كوب القهوة فهو دائماً مميز في هذا المقهى تعجب (حاتم)

قائلا: - ما علاقة الإجابة بسؤالي؟ وكيف سأتواصل معك؟!

قال: - أدلف إلى المقهى ولا عليك بالباقي وقبل أن يرحل السائق أخبر (حاتم) بعد أن يدخل إلى المقهى أن عليه إخبار النادلة بأنه يريد قهوة كالتي يطلبها (اسكندر) وهو إسم السائق، وما إن دلف (حاتم) إلى المقهى إلا وكادت أن تنسيه روعة المكان وبساطته حديثه مع السائق وما طلبه منه، وكان أكثر ما جذب إنتباهه هو أنه لم يرى أي مقاعد في المقهى على الرغم من إتساعه، وسرعان ماعاد إلى واقعه ليذهب إلى البار الذي تقف خلفه تلك الفتاه التي ما إن يراها أحد إلا وتخطف لُباب قلبه على حد قول (حاتم)، الذي فضل ألا يصف جمالها مؤثراً نفسه على الجميع طمعاً بأن يمتع عيناه فقط بجمالها،،، فضلا عن إستحيائه من ألا يوفِّ ذلك الجمال حقه في الوصف..... لكن لك أن تتخيل ذلك الجمال الذي جعله يقول لها أريد (اسكندر) كالتي طلبها القهوة، أخفق فى ترتيب الكلمات،،الأمر الذي أضاف سحراً جديداً في عيون (حاتم) لما ضحكت تلك الفتاة وبانت ثناياها بسبب تلعثمه في ترتيب تلك الجملة، وقالت له: - خذ قهوتك وأنتظرني بالخارج على بعد بنايتين يمين المقهى،، إنصرف (حاتم) حاملاً كوب القهوة متوجهاً إلى المكان المحدد، ثم وصلت الفتاة إلى مكان (حاتم) قبل أن ينهي قهوته، وما أن رآها مجدداً إلا وبدت على محياه نظرة الجائع إلى مائدة تضم ما لذ وطاب من الطعام، فألقت عليه التحية لكنه قبل أن يرد عليها أخبرها بلهجته المصرية أن

«جمالها لابد وأن يحفظ في فاترينة زجاجية، هل أنتى حقيقية »

لكـن آفاقتـه إجابتهـا مـن أحـلام يقظتـه لمـا وجدهـا تقـول «حقيقيـة» بلهجـة مصريـة ، هنـا تأكـد أنهـا فهمـت مـا قالـه ولـن يعـاني مـن الحديـث بلغـة أخـرى،، فهمـت سر دهشـته وقالـت لـه: - أنـا (ليفـا).

فرد عليها قائلا:

- أنا (حاتم).

فقالـت لـه: - أعرفـك جيـداً، وأخبرتـه بـأن يلقاهـا في الخامسـة عنـد الحديقـة الموجـودة أمـام الفنـدق وسـتخبره بـكل شيء وودعتـه قائلـة بـأن عليهـا ألا تتأخـر عـن عملهـا حتـى لايلاحـظ أحـد غيابهـا...

وبعـد أن أنهـت (ليفـا) حديثهـا مـع (حاتـم) إسـتقل الحافلـة فى طريـق عودتـه إلى السـكن مفضـلا إياهـا عـلى التاكسي، لأنـه يريد بـأن يتذكـر ذلك الوجـه الصبـوح الـذي يقطـر جمـالاً وتلـك الثنايـا التـي تتوهـج بالضيـاء عندمـا تتباعـد شـفتيها وتزيـح السـتار ليظهـر صفـين مـن اللؤلـؤ المـتراص كأسـنان المشـط، معتقـداً أن الحافلـة سـتكفل لـه ذلـك عـن أى وسـيلة أخـرى، لكـن لـك أن تتخيـل أن كل مـا اعتقـده (حاتـم) ضـاع هبـاءاً ليـس لأن الحافلـة أسرع بـل كان مـن سـوء حظـه أن يجلـس بجـوار رجـل يظهـر عليـه الوقـار مرتديـاً بـزة رسـمية يبـدو أن تصميمهـا يعـود إلى خمسـينات القـرن المـاضي، ويرتـدي نظـارة كبـيرة الحجـم وعصـا يسـتند عليهـا، حليق اللحيـة خفيـف شـعر الـرأس الـذي بـدا أبيـض مـن الدقيـق، يبـدو مـن مظهـره أنـه محـاضر أو أديـب، يرتـدى نظـارات طبيـة غليظـة...

لكـن حـيرة حاتـم في وظيفـة الرجـل قـد تلاشـت بعدمـا بـدأ الرجـل في الحديـث وكان سـوء حظـه في كـون ذلـك الرجـل ثرثـار بطريقـة مبالـغ فيهـا، وهـي الطريقـة التـي جعلـت (حاتـم) متيقنـاً أنـه ليـس محـاضراً أو أديـب لأن الإثنـين يتمتعـان بدرجـة مـن الهـدوء لم تكـن موجـودة فى ذلـك الكهـل الـذي أفسـد عليـه خلوتـه الفكريـة التـي أراد أن يسـبح فيهـا في بحـر هيامـه بصاحبـة الجـمال الفريـد، وأصبـح عـلى النقيـض مـن مـا تمنـى

وأراد أن تتحول تلك الحافلة المملة إلى طائرة نفاثة تهبط به قرب نقطة توقفه، واقترب موعد مغادرته الحافلة وكانت ملامح وجهه قد إمتلأت بالضجر والملل، تمعض وجهه وتفاقم صداع رأسه من ذلك الرجل، ولم يجد ملاذاً سوى الإستماع لذلك الحديث الغير مغني والذي أصبح أيسر البدائل المتاحة أمامه من النزول مبكراً قبل محطة نزوله، والتأخر فى إنتظار حافلة أخرى عن موعد لقاء (ليفا)، وما إن أعلن المذياع الداخلي عن المحطة المنشودة إلا وبدا لـ(حاتم) أن القمر قد لاح في سماء ليلة شديدة الظلمة، وأن نهراً قد تفجر بين صخور فلاة، قد تاه في لا حدودها رجل كاد يقتله العطش.....

وفر (حاتم) من الرجل كفرار لص من بين يد صاحب البيت الذى سرقه بعد أن أوجعه ضرباً ،، نزل (حاتم) من الحافلة لكنه آثر الجلوس فى باحة الحديقة الكائنة أمام الفندق ليصفي ذهنه من كلام ذالك الرجل ويستعيد عافية رأسه التي هشم الصداع كل جزء فيها ، حتى يعاود التفكير فى تلك الحورية.....

نظر (حاتم) إلى الساعة ليجدها الثالثة ونصف وبقى فقط ساعة ونصف على لقائه بـ(ليفا) لكنه فضل أن يذهب ليرتاح حتى يتخلص من صداع رأسه قبل اللقاء المنتظر، ففضلا عن رؤية ليفا كان سيحصل على اجابات عن مايحدث له فى تلك المدينة....

نهض (حاتم) من مجلسه لكن قبل أن يتحرك خطوة واحدة تجاه الفندق شعر بدوار قد يكون نتيجة تنقله فى أكثر من مكان دون أن يتناول طعام، بل إنه قد تناول قهوة فقط، أو من حديث رجل الحافلة. لكن الدوار كان غريباً فقد بدا لـ(حاتم) رؤى مشوشة وتشابك فى الأحداث وتداخل فى المشاهد بدا وكأنه تذكر تواجده فى (وارسو) من قبل وأن هذه قد لا تكون المرة الأولى ،، تذكر مشاهد له فى الفندق أو فى العمل أو برج إيفل بباريس،، مشاهد متداخلة لا يستطيع أن يحدد الوقت بالضبط،،، سوى أنه لم يكن وقت تواجده فى الأيام القليلة

الماضية فى المدينة، كانت لأيام مرت قبل هبوطه من الطائرة، لكن تلك المشاهد تداخلت بصورة جعلته يمسك رأسه ويتغير لون عينه إلى الأحمر ويضغط بفكه الأعلى على الأسفل ليقاوم الصداع الذى نتج عن ذلك التشوش، أو عن محاولته للتركيز على صورة محددة أو التوقف مع مشهد محدد. كان هناك ألم يعتصره جعله يجثو على ركبتيه وسط أنظار من تواجد فى الحديقة ويسمع بأذنيه صوت شخصين من حوله يسألونه مالذى يحدث له وهل يطلبون له الإسعاف لتنقله أو يساعدوه بشيء، ويراهم فى صورة تفتقر إلى الوضوح، ذلك قبل أن تنعدم الرؤية مطلقاً ويسقط على الأرض فاقداً الوعى ...

وبعد مرور ساعات على سقوطه في باحة الحديقة ، بدأ (حاتم) يستفيق من تلك الإغمائه التى أردته طريح الأرض، بدأ في فتح عينيه لكنه كان ما يزال يشعر بعدم وضوح الرؤية وألم شديد يكاد يفتك برأسه ولا يستطيع التركيز..... لكن سرعان ما بدأت الصورة في الوضوح شيئاً فشيئاً حتى اكتملت أمامه ليرى نفسه ملقى على سرير جلدى أسمر وسط حجرة مليئة بالمعدات الطبية..

حاول الإستناد على ذراعيه ليستطيع النهوض عن ذلك السرير لكنه شعر بألم في ذراعه الأيمن تحسس بيسراه موضع الألم ليجد أنبوب متصل بقارورة زجاجية معلقة على حامل حديدي بجانبه وفي نهايته إبرة حديدية دفنت مقدمتها في وريده، قام بخلعها عن ذراعه واتكأ على طرف السرير ليستطيع النهوض ثم قام بخلع القارورة عن الحامل ليستند عليه ويتوجه صوب الباب، إستغرق وقت ليس بالطويل، جسده مكلوم ثقيل، قدمان مرتخيتان يكاد يفقد الشعور بهما من طول الرقاد حتى وصل إلى باب الغرفة وهو لا يستطيع التركيز من شدة ألم رأسه ووقف في تلك المسافة التي بين السرير وباب الخروج أكثر من مرة متمنياً أن يزول ذلك الألم الذي أفقده إتزانه وفتح ذالك الباب الذي نال هو الآخر حظاً في مضايقة (حاتم) ،،

بعـد أن وجـد صعوبـة في فتحـه نتيجـة لإرتعـاش كفيـه فلـم يسـتطع أن يسـيطر عـلى أعصـاب يـده، خانتـه قـواه لبعـض الوقـت لكنـه نجـح في فتـح البـاب ليجدهـا تطـل عـلى رواق قصـير في نهايتـه فتحـة إلى اليمـين وكانـت حجرتـه هـي السادسـة في ترتيـب الحجـرات عـلى اليسـار مـن مدخـل الـرواق،، نظـر حاتـم إلى نهايـة الـرواق نظـرة تسـتطيع مـن خلالهـا أن تحكـم إلى أي مـدى تمكـن التعـب منـه و بـدأ في الإتـكاء عـلى الحامـل الحديـدي بكلتـا يديـه و نقـل قدميـه بصعوبـة بالغـة لكنـه لمـح عارضـة خشـبية مثبتـة طوليـاً عـلى جـدار الـرواق، فبـدأ في إمسـاك الحامـل بيـد والإرتـكان بالأخـرى عـلى ذلـك اللـوح، اسـتمر (حاتـم) في السـير حتـى وصـل إلى نهايـة الممـر ثـم نظـر عـن يمينـه فوجـد صالـة إسـتقبال وهنـاك بعـض الجلـوس أمـام مكتـب الإسـتقبال الـذي أكـد شـكه بأنـه نقـل إلى المستشـفى،، وصـل إلى المكتـب الـذي حبـس خلفـه شـاب وفتـاة كل منهـما غـارق في عملـه ومكـب رأسـه في مجموعـة مـن الأوراق،،

وقـف (حاتـم) بعـد أن وقـع الحامـل مـن يـده واسـتند بيديـه وجسـده عـلى ذلـك المكتـب الرخامـي الكبـير خشـية السـقوط خلـف الحامـل قائـلا لهـما: مـا الـذي أتـى بي إلى هنـا؟ مـاذا يحـدث لي؟!.

التفتـا بوجهيهـما فى سرعـة شـديدة إلى ذالـك الصـوت الخافـت الـذي خـرج مـن بـين أنـات التعـب الشـديد، لكـن قبـل أن يجيبـاه سـقط مغشـياً عليـه مـرة أخـرى.....

بعـد إنقضـاء سـاعة كاملـة عـلى سـقوط (حاتـم) للمـرة الثانيـة بـدأ في اسـتعادة وعيـه لكـن هـذه المـرة كانـت أقـل وطـأة حيـث لم يشـعر بقـوة الألم هـذه المـرة مقارنـة بسـابقتها بـل إن مـا أدهشـه هوأنـه لم يشـعر سـوى بصـداع فقـط وكان طفيفـاً وإنـه قـادر عـلى إحـكام السـيطرة عـلى أعصابـه، ويسـتطيع أن يحـرك كلتـا قدميـه بـدون أدنـى معانـاه ليـس في حاجـة إلى حامـل أو لـوح ليسـتند عليـه أحـس أنـه إسـتيقظ مـن نـوم وليـس فقـدان لوعيـه ، هـم بالخـروج ومغـادرة المـكان لكـن قبـل أن يخـرج مـن الغرفـة

لم يكـن لعقلـه أن يعطيـه فرصـة للتحللمـن قيـود تفكـيره، أو أن يشـعر بلحظـات مـن صفـو الذهـن أو أن يمنـح مداركـه فرصـة التملـص مـن التفكـير إلا في موضـوع واحـد،،،،،،،

تذكـر أنـه كان عليـه أن يقابـل (ليفـا)،، نظـر في يـده عـلى الفـور متأمـلا عقـارب السـاعة أيـن اسـتقر بهـا المطـاف فوجدهـا قـد تجـاوزت الثانيـة عـشرة بقليـل مـن الدقائـق، عـاد ليجلـس مـرة أخـرى عـلى السرير ينظـر برأسـه إلى أسـفل دافنـاً وجهـه بـين كفيـه، مستشـعراً بكـم هائـل مـن الخيبـة عـلى فـوات فرصـة معرفتـة لمـا يـدور مـن حولـه في هـذه المدينـة، أخـذ يطيـل النظـر إلى الأرض تـاركاً المجـال لآمـارات الحـسرة أن تسـكن محيـاه وظـل غـارق فى طموحاتـه التـى قـد شـيد بنائهـا قبـل أن تـأتي تلـك العاصفـة لتقتلـع ذالـك البنـاء مـن قواعـده،،، مخلفـة حـسرة فطـرت قلبـه، وهنـا سـمع (حاتـم) بـاب غرفتـه يُفتـح نظـر تجـاه البـاب فوجـد رجـل يبلـغ الثلاثـين ونيـف مرتديـاً معطـف أبيـض وسـماعة طبيـب موضوعـة عـلى رقبتـه، نظـارات طبيـة تنـم عـن مشـوار جهـد طويـل فى مصاحبـة الكتـب أفقـده جـزء مـن بـصره، بلحيـة خفيفـة مهذبـة، وأنـف طويـل مدبـب، أيقـن أنـه الطبيـب المسـؤل عـن حالتـه،، تحـدث إليـه الطبيـب قائـلاً: - أرى أن مريضنـا قـد حجـز تذاكـر العـودة مـن غيبوبتـه واسـتعاد كامـل نشـاطه أليـس كذلـك سـيد (حاتـم)؟ لا تتعجـب كان علينـا البحـث في أغراضـك لمعرفـة إسـمك وتدوينـه عندنـا في السـجلات، خاصـة أن مـن أحـضروك أكـدوا بأنهـم لا يعرفونـك وأنهـم وجـدوك قبـل فقدانـك وعيك بلحظـات ثـم أتـوا بـك مسرعـين إلى هنـا، عـلى كلِ كيـف حالـك الآن؟

أجابـه (حاتـم) بجـواب إتخـذ مسـاراً غـير مسـار السـؤال، فقـد نهـض (حاتـم) مـن مكانـه ووجـه حديثـه إلى الطبيـب في جملـة واحدة:»أريـد الخـروج مـن هنـا».

فقـال لـه الطبيـب: - لمـا لا، فأنـا أرى أن حالتـك قـد إسـتقرت دعنـي أفحصـك للمـرة الأخـيرة قبـل الخـروج وافقـه (حاتـم) فهـو لا يريـد

سوى الخروج والسبيل لذلك هو الإذعان لكلام المعالج حتى يخرج، إستلقى (حاتم) بعد أن أمره الطبيب على السرير الجلدي ووجه الطبيب سؤالاً لـ(حاتم) أثناء الفحص قائلا له: - ألا تريد أن تعرف سبب فقدانك لوعيك؟!..

سكت (حاتم) ولم ينبس ببنت شفة ...هنا إبتسم الطبيب إبتسامة خفيفة ثم قال: - أرى إنك من النادرين الذين لا يعتريهم الفضول لمعرفة أي شيء،،

أجابه (حاتم) قائلا: - لا لستُ كذلك حينما يتعلق الأمر بي لكن ما إعتقدته هو أنك ستخبرني بحالتي في كل الأحوال.....

هز الطبيب رأسه ثم قال:- صدقت سامحني على هذا الخطأ لكن ما أحاول معرفته هو السر وراء إمتعاض ملامح وجهك، سأجيبك بسبب سقوطك وما الداعي وراء إستلقائك هنا على هذا السرير.

فأجابه حاتم: كلي أذان مصغية..

قال الطبيب: عليك ألا تقلق فالكثير يمر بحالتك تلك،، وهناك دواء متوفر لكنها تحتاج إلى وقت كما أنها تحتاج إلى صبر حتى تنتهي تلك الحالة،،

هنا غاضت الدماء من وجه (حاتم) للدرجة التي جعلت الطبيب يستشعر القلق،،

رفع الطبيب كتفيه مع حاجبيه فى تناغم ينم عن أن هذا ما توصلت له التقارير الطبية بشأن (حاتم)،

ثم فاجأه بإبتسامه عريضة قائلا: - لا تقلق فأنا أُمازحك، الأمر لا يستدعي هذا الذعر، جل الأمر أنك تعاني من جفاف أدى إلى حدوث هبوط كما أنه باد عليك الارهاق، هذا هو السبب وراء وجودك هنا ولا داعي لبقائك فترة أطول لكن انتظر حتى الصباح، يمكنك الخروج

في صباح الغد وسأكتب لك دواء للجفاف أما الإرهاق فدوائه بيدك، عليك أن تصفي ذهنك، لا تدع تفكيرك يسيطر على مشاعرك حتى لا يقودك إلى الكره والتوتر والإرهاق وهو ما يؤدي بك إلى ضرب من الجنون فينتهي بك المطاف ملقى على ذلك السرير، سأُسديك نصيحة أخيرة لا أعلم ما علاقتها بحالتك لكنني اعتقد من محياك أن السبب قد يكون كره شديد، «الجرح الذي سببه الكره لا يلتأم سوى بالحب» أنا أسديها إلى كل مريض عندى ويمكنك إعتبارها شعارى الخاص، ثم قال له الطبيب أتمنى لك السلامة سأغادر الآن عليك أن ترتاح حتى الصباح ،وقبل أن يخرج الطبيب من الغرفة ناداه (حاتم):

- أيها الطبيب.

إلتفت إليه باسماً فقال (حاتم) :

- بعدما أفقت في المرة الأولى شعرت بألم شديد نتيجة دواء قد أخذته عن طريق قارورة يخرج منها أنبوب مندس داخل يدي. فأجابه قائلاً: - الطبيب الذي كان مسؤولاً عن حالتك عند مجيئك هنا قد غادر لكن لا تحمل هماً ولا تُفكر كثيراً فهم لم يعطوك سوى أدوية تساعد على تعويض الجفاف...

فرد عليه (حاتم): - وهل تسبب كل ذلك الألم، فأنا لم أكن أحكم السيطرة على أطرافي.

- بالطبع لا لكن تأكد أن جسدك أصابه ضعف لذا كان من الطبيعى أن تشعر بالألم ، عليك أن ترتاح الآن...

حاول (حاتم) الخلود إلى النوم وإعطاء جسده قسطاً من الراحة لكن النوم لم يكن ذا قدرة على التغلب على تفكيره الذي أرقه بقية ليلته،، حدث (حاتم) نفسه قائلا: - أعتقد أنه ليس هناك من هو أسوأ مني حالاً فالكل على دراية بماهية مشكلته وبحدود مايمر به،

لكنـي وإن حاولـت الإسـتغراق في أعماقـي فلـن أنجـح في إصطيـاد ولـو شـيئاً واحـداً مـن بحـر أفـكاري المتضـارب، أود لـو أميـز موجـة واحـدة مـن ذلـك المـوج المتلاطـم، شيء واحـد فقـط يضعنـي عـلى أول الطريـق، آآآآه مـن المجهـول لا يتريـث حتـى يذهـب عقلـك ويقـضي عـلى لبـاب فكـرك وأي مجهـول أواجـه! هنـا تذكـر لحظـة مـن المـاضي لحظـة أخذتـه إلى مـكان تعـود أن يستشـعر فيـه الهـدوء، إلى مـكان أبعـد بعشريـن عامـاً أو أكثـر بقليـل، إلى شـخص إعتـاد أن لا يُبـالي بـما يحـدث غـداً وهـو في حضرتـه، تذكـر بيتـه وعودتـه إليـه مـن مدرسـته ذات يـوم وهـو ينـزف مـن جـرح في رأسـه، وتتسـاقط قطـرات الـدم كأنهـا حبـات عـرق غـادرت جبينـه في يـوم إشـتد صفـار شمسـه.....

طـرق بـاب منزلـه لتفتـح لـه والدتـه بشـوق الأم المعهـود عنـد إنتظـار ولدهـا العائـد مـن مدرسـته، لكـن سرعـان مـا تبـدد ذلـك الشـوق إلى نظـرات دهشـة تشـبه تمامـاً تلـك النظـرات التـي تظهـر عـلى وجـه (حاتـم) وكأنهـا إنتقلـت جينيـاً إليـه، صرخـت الأم في خـوف: - ماالـذي حـدث !؟

ثـم أدخلتـه وأغلقـت البـاب وذهبـت مسرعـة إلى صنـدوق الإسـعافات لتـأتي بـما يضمـد جـرح ولدهـا ثـم بـدأت في تضميـد الجـرح ،،، كان نظـر (حاتـم) يجـوب أنحـاء المنـزل يفتـش في غرفـه المفتوحـة ليسـتقر أمـام بـاب غرفـة والـده، أنهـت أمـه تضميـد جرحـه و ذهـب حاتـم دون أن يجيبهـا عـن السـبب الـذي أدمـى رأسـه، متجهـاً إلى غرفـة والـده فوجـده نائـم فصعـد عـلى السريـر لينـام بجـواره لكـن والـده كان عـلى عكسـه تمامـاً كان متميـزاً بنومـه الخفيـف، وهـي صفـة لم يرثهـا حاتـم مـن والـده، أحـس الأب بإبنـه فـور صعـوده السريـر وفتـح عينيـه ليجـد ولـده يضـع ضـمادة عـلى رأسـه، فسـأله والـده بعـد أن ضمـه إلى صـدره هـل هـذا بسـبب لعـب أم شـجار؟ أجابـه (حاتـم) قائـلاً: - لقـد تشـاجرت مـع زميـل لي في المدرسـة لكنـه يكـبرني بعـام، فابتسـم والـده إبتسـامه خفيفـة مداعبـاً رأس صغـيره وموجهـاً لـه تلـك المقولـة:

«إذا أجبرك الوقت على عراك أحدهم فعليك أن تعرف حجم من تواجه»

قال (حاتم) بصوت خرج بعد تنهيدة طويلة رحمك الله يا والدي علي أن أعرف في البداية من أواجه ثم أُقدر حجمه، علي أن أرتب أوراقي والأهم أن أستعد لتوقع أخطاء غيري بدل الإنشغال بأخطائي، علي أن أتوقع من أي إتجاه ستكون اللكمة القادمة ، علي أن أعرف من يكون خصمي. إستنفذ تفكيره الليل بأكمله وأنارت أركان غرفته بضوء يداعب ستائر نافذة الحجرة شمس نهار جديد، وليلة إنقضت من ليالي الشهر الموعود...

سأتوجه إلى (ليفا) وأشرح لها السبب وراء عدم قدومي في الموعد المحدد،هذه الكلمات كانت الأخيرة لـ(حاتم) في غرفته بالمشفى قبل أن يغادرها متوجهاً إلى الإستقبال لينهي إجراءات تواجده بها، ثم خرج منها محدداً وجهته المقبلة وضابطاً بوصلته على الإتجاه نحو محل عمل (ليفا) ووقف أمام باب المشفى يشير إلى عربة الأجرة فهو لا ينوي ركوب الحافلة، فأيام الشهر تنقص يوماً تلو الآخر وهو يريد أن يسرع في معرفة المجهول..

وسرعان ماتوقفت إحدى العربات، فركب (حاتم) بجوار السائق وكعادة السائقين في كل مكان وليس في بلدة (حاتم) فقط لم ينفك عن الحديث في أمور حياته وأمور دولته وما يتعرض له السائقين من قهر وظروف معيشية مرهقة إلى حدها الأقصى، لكن حاتم مارس عادته المفضلة هو الآخر عندما يركب أي وسيلة مواصلات، فبدأ في إسناد رأسه إلى النافذة ولم يلقي بالا لما يقوله السائق بل كاد ألا يكون قد سمع منه شيء ولم يعي إلا حين نبهه السائق بأنه قد وصل إلى حيث يريد نزل حاتم من العربة وتوجه إلى المقهى،، وقف لثواني أمام الباب قبل أن يقرر الدخول وما إن دلف إلى الداخل حتى أخذ بصره في التوجه ناحية البار فوجد فتاه أخرى تقف في مكان (ليفا)

إلتفت إلى جميع أركان المكان يفتش بعينيه عنها لكن النتيجة واحدة لم تكن موجودة فذهب إلى البار وألقى التحية على الفتاه الموجودة أمامه فردت عليه تحيته قبل أن تسأله ماذا يريد أن يحتسي؟ إلا أنه وبسرعة أجابها شكراً لا أريد شيء أريد أن أسأل عن (ليفا)،،،،،

تغيرت معالم وجه الفتاة إلى الحزن الأمر الذي سرب القلق إلى داخل (حاتم) لتتغير ملامحه هو الآخر إلى التوتر والخوف من أن قد يكون مسها مكروه فأجابت الفتاة بصوت خنقته الدموع، المسكينة لم تغادرها الأزمات منذ أن عرفتها لم تنتظر المحنة مغادرة سابقتها إلا وتقرر محاصرتها من جهة أخرى،، ذاقت كل أنواع المحن حتى كان للموت نصيباً من الإلتفاف حولها، هنا أحس حاتم بأنه يختنق عرق شديد ظهر على محياه وكأن شخصاً رماه بالماء على وجه، أخذ في فك رابطة عنقه،، تجرع كوب الماء الذي أمامه وكأن حلمه بدأ في الإنهيار أمام عينيه وهو مكتوف اليدين لا يملك فعل شيء ثم قال بصوت مرتبك لا يستطيع تجميع كلماته:

– ماذا تقصدين؟

فأجابته قائلة : قد مات والدها أمس، هنا تنهد (حاتم) وأخرج زفيره بهدووء يكشف عن راحته بأنها مازالت على قيد الحياة ثم قالت الفتاة: رحمك الله يا اسكندر وكأن تلك الجملة بدت كالصاعقة التي لم تجعل حلم (حاتم) ينهار ببطئ بل إقتلعته من جذوره كان لها وقع على أُذنيه جعله يعاود إضطرابه مرة أُخرى سائلا فتاة البار: – هل تقصدين اسكندر؟

قالت الفتاة:

– نعم هل كنت تعرفها بدون معرفة أبيها !

فأجابها (حاتم):

- ويا ليتني لم أعرف..

ثم قال لها:

- أستمحيكي عذراً في طلب آخير..

قالت له:

- بالطبع تفضل،

فقال لها:

- أُريـد عنـوان منزلهـا أود أن أُقـدم واجـب العـزاء تعجبـت الفتـاة وسـألته هـل أنـت متأكـد:- أنـك تعـرف (ليفـا)؟!

فأجابها:

- ولم هذا السؤال؟!

قالـت لـه: أنـت بالـكاد تعـرف إسـمها ولا تعـرف شـيئاً عـن والدها،منزلهـا، كيـف تدعـي معرفتهـا ؟!

أجابها:

- أنـا أعرفهـا منـذ وقـت قصيـر ولم تتـاح لي فرصـة التقـرب منهـا إلى هـذا الحـد فقالت: :

- عـلى كلٍ سـأُعطيك عنوانهـا لكـن عليـك أن تحتـسي شـيئاً يعـوض تركـي العَمـل والحديـث معـك فقـد أخـذت منـي وقتـاً كثـيراً ناهيـك عـن تعطيـل أشـخاص غـيرك يـودون شراء مشروباتهـم الخاصـة.

فقال لها (حاتم):

- سـأتناول قهـوة فأومـأت الفتـاة برأسـها فى حركـة إيجـاب سريعـة متكـررة مجيبـة إيـاه لـك مـا طلبـت، لم يسـتطيع حاتـم مـن هـول

مـا سـمع أن يجلـس ويحتـسي قهوتـه فأعطاهـا المـال وتـرك القهـوة وانـصرف.

ثـم باغتتـه لحظـة وكان لم يغـادر المقهـى بعـد، فطفـق يُفكـر هـل مـن الجيـد الذهـاب لهـا والحديـث معهـا في هـذا الحـال؟ أم أنتظـر؟ وبـدأ يحدث نفسـه وكأن صـوت عقلـه يخاطبـه محـذراً إيـاه « مـاذا سـتفعل هـل سـتنتظر أن تمـر الأيـام وتجلـس في إنتظـار مسـتقبل مجهـول أم تتنـازل عـن حيـاءك وتذهـب إليهـا وتسـألها وهـي في هـذه الحالـة يالحقارتـك، منـذ متـى وأنـت تفكـر بمثـل هـذا الدافـع الأنـاني، يـا الله.... وبعـد مـداولات إسـتمرت لدقائـق معـدودة مـع ضمـيره، حسـم (حاتـم) قـراره بالذهـاب إليهـا، سأواسـيها ولـن أتحـدث في شيء سـأُقدم فقـط واجـب العـزاء...

فى منزل ليفا

ثم نادى لإحد عربات الأجرة المارة أمام المقهى وسأل سائقها إن كان بإمكانه أن يقله إلى العنوان، فأجابه السائق بعد برهة تفكير: - لكن عليك أن تدفع كثيراً فالمكان ليس بقريب من هنا، فقال له (حاتم): - كم ستأخذ؟

رد السائق: - ٥٠٠ زلوتي.

هنا قال (حاتم): - هل المكان بعيداً إلى هذا الحد فهو لايعرف شيئ عن المدينة فقال السائق: لا ليس بعيداً ولكن الوصول إليه ليس سهلاً فقال (حاتم): - حسناً سأعطيك ٣٠٠ زلوتي... فوافق السائق وما أن وصل (حاتم) إلى جهته المنشودة وترجل من السيارة إلا و قذارة المكان قد لفتت نظره بشكل مُريع، القمامة على جانبي الشارع عربات متهالكة متراصة بعضها فوق بعض، البيوت ذات تصميم واحد شوارع إلى حد كبير تشبه عشوائيات القاهرة لكن الإختلاف من وجهة نظر (حاتم) كانت رسومات الجرافيتي المشهورة التي زينت وجهات المنازل وعوضت طلاء جدرانها المتساقط لكنها هي الأخرى بدت من عمل الهواه وليس المحترفين، قرر حاتم أن يسأل أول المارين عن منزل (إسكندر) فوجد طفل فى سن العاشرة يرتدي فقط ملابسه الداخلية،، أوقفه (حاتم) بإبتسامة وشفتيه تكاد أن تلامس أذنيه: - هل بإمكان الحارس الصغير لهذه المنطقة أن يدلني على منزل (إسكندر)؟ فقال الفتى: - تقصد الذي مات منذ يومين؟،،

قال : - نعم هو

قال الصبى: - وكم ستدفع إن أخبرتك،

اجابه (حاتم): - وكم تريد ؟

- أعطني ٢٠ زلوتي وسأدلك،،، فضحك (حاتم) وقال: ها هي الـ٢٠ زلوتي أين المنزل إذاً؟ قال الفتى: خلفك مباشرة....

إلتفت (حاتم) إلى الخلف ثم نظر إلى المنزل وهو يضحك من فعل الفتى به، ثم إتجه إلى المنزل وكان له باب خارجي صدأ يصدر صريراً يعلن عن مغادرة اهله منه، غير باب الشقة التي تقطنها (ليفا)،،، وقبل أن يدلف من الباب أخذ حاتم يرتب في ملبسه ويهذب في شعره ثم دلف إلى داخل المنزل وصعد درجات قليلة حتى وصل إلى باب شقة (ليفا)، ثم طرق عدة طرقات حتى فتحت له كانت الحوراء التى رآها فى المقهى قد تحولت إلى فتاة تمكن الشيب من قلبها بالرغم من جمالها الفاتن...

- مرحباً (ليفا) جئتُ فقط أُقدم واجب العزاء،،

قالت له:- تفضل بالدخول

إزدادت علامات الحزن على محياه بعد أن رأى شحوب وجهها والبكاء الذي تمكن من عينيها إلى حد كبير، ووجهها المصاب بكدمات كأن أحداً أمعن فى لطم وجهها، لكنها كانت قد طبعت فى وجهها وليست حديثة، فقال فى نفسه يبدو أنها برعت فى إخفائها بفعل مساحيق التجميل ،،، جلس (حاتم) في مكانه قبل أن تبدأ (ليفا) في الحديث بصوت خنقه البكاء: - لقد قتلوه ..

ارتعب (حاتم) وقال: - ماذا تقصدين ؟ أعادت ماقالته مرة أخرى: لقد قتلوه، هنا نسى (حاتم) حيائه وذهب إلى الكرسي الذي تجلس عليه (ليفا)وجثى بركبتيه أمامها ورفع رأسها وقال لها:- من

الـذى قُتـل؟..... قالـت بصـوت متهـدج يصعـب عـلى الكلـمات الخـروج وإرتفـع صـوت بكائهـا قائلـة:- (إسـكندر).

قفـز قلـب (حاتـم)، يحـاول أن يصـل الألفـاظ بالمعانـى المناسـبة، تعـرق كفيـه، نـدى جبينـه بحبيبـات العـرق، التـى فضحـت خوفـه الشـديد من أن يكـون سـبباً وراء مقتله،،وهـل للأمـر علاقـة بي ؟

هذا ما (حاتم) فقالت له:- وهل كان للأمر علاقة بأحد سِواك...

هنـا قـام (حاتـم) مـن مجلسـه فزعـا وإبتلـع ريقـه بصعوبـة شـديدة قائـلا: - عليكـي أن تبتعـدي عنـي قبـل أن يفعلـوا معكـى شـيئاً.

قامـت (ليفـا) هـي الأخـرى وقـد ظهـرت نـبرة السـخرية فى حديثهـا:- وهـل تعـرف مـن تواجـه حتـى تنحينـي عنـك خوفـاً منهـم!

فقال (حاتم) لها: - وهل تعرفينهم أنتي؟

قالت له:- نعم أعرف كل شيء عنك وعنهم، ،،

توجـه ناحيتهـا ممسـكاً ذراعيهـا بيديـه بطريـة نمـت عـن غضـب شـديد قائـلا لهـا:- دلينـي عليهـم وأنـأى بنفسـك بعيـداً وأتركـي الأمـر لي.

نظـرت إلى يديـه اللتـان أمسـكتا بذراعيهـا وكأنـه قيدهـا نظـرة أظهـرت تألمهـا، فهـم (حاتـم) وقـام بإبعـاد يديـه قبـل أن تجيبـه: - لم أكـن لأتـركك وأبي عـلى قيـد الحيـاة فهـل سـأترك إنتقامـي بعـد قتلهـم لأبي،عليـك أن تضـع يـدك في يـدي حتـى نتمكـن منهـم لكـن بدايـة عليـك أن تعـرف مـن أنـت، ومـن هـم، ومـا السـبب وراء إقحامـك في العـالم السـفلي ؟؟

إرتعـدت فرائـض (حاتـم)، وكأن أحـداً أطلـق رصاصـة فى صـدره لتسـكن فى قلبـه إلى جانـب (فاطمـة)، للمـرة الأولى لم تتشـتت أفـكاره بـل إرتكـزت كلهـا في بـؤرة واحـدة و إنصبـت جميعـاً عـلى مرتكـز واحـد ، وقـال بصـوت هـاديء:- السـبب وراء مـاذا؟

فعاودته قائلة:- وراء إقحامك في عالم مافيا السلاح ، هدأ (حاتم) كهدوء المكان بعد أن تغادره العاصفة ،، وبردت أنامله كالميت الذي لم تمر ساعات على موته، شحب لونه كشحوب من أضرب عن الطعام، ثم إبتلع ريقه بصعوبة بالغة وأغمض عينيه وأخذ يتنفس من فمه لصعوبة أخذ نفسه بشكل طبيعي من أنفه ووضع يده على وجهه، ثم نظر إلى (ليفا) وحدثها قائلا:- هل يمكن أن تُعطيني كوب ماء..

أسرعت وأحضرت له الماء وقالت له: - هون عليك فأنت في حاجة إلى كامل قواك لسماع المزيد، فقال لها (حاتم): - يجب أن لا تهملي أي شيء أثناء الحديث، لابد أن أعرف كل شيء فقالت له: - سأخبرك بكل شيء لكن عليك أولا أن تعرف من أنت..

جلس (حاتم) القرفصاء مسنداً ظهره على الكرسى خلفه وجلست ليفا في مواجهته مباشرة وبدأت الحديث قائلة: إسمك (حاتم الطحان) تبلغ من العمر ٣٣ عام تخرجت من الجامعة لكن لم تسنح لك الفرصة أن تعمل في مجالك، فمجال البرمجة لم يكن ذا صيت في بلدك ولم تكن هناك الإمكانات اللازمة لنجاح البرمجيات هناك، قررت أن تسافر إلى هنا حتى تحصل على عمل فى مجالك بعد أن سئمت عمل المحاسبة،، قمت بتقديم ملفك الشخصي إلى بعض الشركات هنا، لكن من سوء حظك أن يتم قبولك في أحد أكبر المؤسسات إلي تعمل في مجال تخصصك و...

قاطعها (حاتم) قائلا: وكيف يعد ذلك من سوء الحظ؟... فردت معنفة إياه:- عليك أن تتحلى بالصبر للدقائق القليلة القادمة، تلك الشركة مملوكة لأحد أكبر عمالقة التجارة في بولندا (إيزاك إيزيدور) الذي يعد ثالث أغنى رجل في بولندا ومن الطبيعي ألا يساور أحد الشك في السبب وراء تلك الأموال التي تكتظ بها خزائنه،، والتى ينوء أعتى الرجال عن حملها، فالشركة التي تعمل بها هي إحدى الرائدات في صناعة وبرمجة الإليكترونيات.

أحجم (حاتم) عن سؤالها، يريد أن يستعجلها ويعبر المراحل كلها بقفزة واحدة إلى خط النهاية، لكنه قرر أن يقول لها بعد سردها الحديث لم يكن ذا أهمية فى إعتقاده فقال لها: - تخطي هذا الجزء أريد أن أعرف السر وراء إقحامي في تلك اللعبة وما علاقة سير الشركة بهذا التخبط؟

فضحكت (ليفا) وأجابته قائلة:- السبب في ما أنت فيه هو الحب يا صديقي...

إرتسمت ملامح التعجب على صفحة وجهه وبادرها قائلا: حب ماذا ! فقالت: - لقد أغرمت بك إبنة (إيزاك)،، (إليانا إيزيدور) وهي السبب أيضاً في إنقاذ حياتك كما أنها السبب في إبعاد (فاطمة) عنك..

صاح حاتم:- (فاطمة)! ما علاقة (فاطمة) بكل هذا وما الذي أتى بها أيضاً إلى هنا ؟!.

فقالت (ليفا):- عندما أتيت إلى (وراسو) لم تكن وحدك بل إصطحبت معك زوجتك فاطمة..فغر حاتم فاه معلناً عن أنه لم يفهم أى شيئ مما تقول : - مهلاً مهلاً مهلاً

هكذا قاطع (حاتم) (ليفا) وتابع: - هل هذا يعني أن زوجتي الأولى التي أخبرني بها زملائي في العمل هي (فاطمة). قالت: - بالتأكيد نعم، فأنتفض (حاتم) من مجلسه ومن شدة صعوبة الأمرعليه كاد أن يصاب بالجنون ثم قال: (ليفا) لماذا لا أتذكر ما تقولين؟؟؟ أنا أعرف إسمي أعرف طبيعة عملي لماذا لا أتذكر ما تقولين،،، ومالذى يثبت أنك لا تستغلى فقدانى لذاكرتى وتقولين ماتودين قوله، أو أنك تستغلينى لإنتقامك؟!

فقالت: - لن آخذ ماقلت على سبيل الجد،فأنا أعذرك لما تمر به لكن أخبرنى هل تعرف كيف أنت هنا ولماذا؟ بالطبع لا تعرف والدليل أنك هنا الآن،

فقال لها:- إذاً أجيبيني لماذا يحدث معي كل هذا؟ ولماذا لا أتذكر؟ هل أنا مريض بفقدان الذاكرة أم ماذا؟

قالت له: إطمئن لست مريضاً بفقدان ذاكرتك لأنك من طلبت أن تفقدها وقد فعلوا ذلك برغبة منك أنت.

قال لها وقد تلاقى حاجباه،وأتسعت عيناه حد الدهشة: رغبة من من ؟ وعن أي هراء تتحدثين هل تعين ماقصدتيه؟،، إن كان أمر فقدان الذاكرة برغبتي فأنا مشترك في تلك اللعبة القذرة..

- لقد أسأت الفهم إنصت قليلا لما أقول ورجاءاً لا تقاطع حديثي حتى أنتهي، فأومأ برأسه أن تابعي حديثك فاستطردت (ليفا) حديثها:- أنت لم تكن أنبغ من يعملون في شركة (إيزاك) بل كنت أكثرهم وسامةاً الأمر الذي جذب الرئيس التنفيذي لك..

هنا قاطعها (حاتم): - تقصدين (إليانا)

قالت: - نعم صاحبة الوجه المستدير الذي يشبه الدائرة المرسومة بالفرجار والعينين السوداوتين والشعر الأسمر المنساب كفتاه إسبانية يرجع جمالها إلى عهد الأندلس كانت إليانا فتاة والدها المدللة، فأحد أغنى رجال العالم وأنجح رجال التجارة وواحد من أقذر سفاحي العام السفلي كان رهناً لإشارة من إبنته كان يعيش ليلبي رغباتها و حدث كل هذا بعد أن تعرفت على الحياة الأخرى لـ(إيزاك) في عالم الجريمة وكشفت عن عمله الثاني الذي ستره خلف عباءة شركته فأنت لم تكن تقصد فضح أحد بل لم تكن تعرف أن إيزاك هو من يدير شبكة تجارة السلاح .

قاطعها قائلا:- كيف حدث هذا؟ كيف كشفتهم؟

أجابتـه:- في أحـد الأيـام أحـس محاسـب الشركـة بوعكـة صحيـة فـأراد أن يغـادر لكـن ضغـط العمـل لم يسـمح لـه بالذهـاب وذلـك لعـدم توافـر بديـل لـه في هـذا اليـوم،،

- كيـف لشركـة بهـذا الحجـم أن تعجـز عـن توفـير بديـل لمحاسـبها يـا (ليفـا)؟!

أجابتـه قائلـة:- هـي أيضـاً أحـد عيـوب (إيـزاك) فلـم يكـن يأتمـن أحـد بسـهولة وهـو الأمـر الـذي دفعـه لتعيـين شـخص واحـد فقـط في هـذه الوظيفـة حتـى لا يعلـم أحـد عـن حركـة دخـول وخـروج الأمـوال مـن وإلى المؤسسـة.

قال لها:- وما الذى حدث فى هذا اليوم؟

فـردت عليـه قائلـة:- لاحظـت يومهـا تعـب موظـف الحسـابات فذهبـت إليـه وإقترحـت عليـه أن يغـادر فأجابـك أنـه لا يسـتطيع تـرك العمـل اليـوم بسـبب الضغـط الشـديد الواقـع عليـه لكنـك أقنعتـه أن لديـك خلفيـة وسـابقه عمـل في هـذا المجـال ، ونظـراً لتعبـه الشـديد وافـق عـلى إقتراحـك ومـن شـدة مـا يمـر بـه مـن تعـب نسـى بريـده الإليكـتروني مفتـوح ، ومـا إن جلسـت حتـى وصلـت رسـالة عليـه وكأنهـا تنتظـر قدومـك، كان فحواهـا أن صفقـة السـلاح سـتتم في مطلـع الإسـبوع المقبـل مـع أحـد جماعـات مافيـا السـلاح الروسـية،

وبفضولـك الـذى فقدتـه مـع ذاكرتـك، قـررت الذهـاب إلى (إيـزاك) لتفضـح خيانـة ذلـك الموظـف وخاصـة أن الرسـالة لم تكشـف عـن إسـم (إيـزاك)، فلـم تشـك أن يكـون متورطـاً،، ثـم قالـت متعجبـة:- كيـف لـك أن تعتقـد أن رئيـس مجلـس الإدارة لـن يكـون ذا صلـة بهـذه العمليـة، والرسـالة قـد أتـت عـلى بريـد الشركة!..وتابعـت (ليفـا): - عـلى كلٍ قمـت بالذهـاب إليـه مبـاشرة حتـى أنـك لم تسـتأذن مديـرة مكتبـه، ودخلـت مكتبـه مبـاشرة وفاجأتـه قبـل أن يسـألك مـن أنـت؟..

نظر إليها متعجبا مما تقول،

فتابعت: - أفهم نظراتك هذه، لا تتعجب فهو لا يعرف كافة موظفيه فهو يترك هذا الأمر لإبنته التى طالما وثق بها والتى تحظى بحب الجميع فى الشركة،، فقلت له أن كارثة ستطيح بالمؤسسة مما جعله ينتفض من مجلسه ويشير إلى مديرة مكتبه أن تغادر وتغلق الباب ورائها وأشار إليك أن تحدث و هات ما عندك، أفرغ ما في جعبتك ويالیتك لم تحادثه فتلك المحادثة هي ما جعلتك تأتي إلى هنا الآن ، وبعد إنصرافك كان لابد من التفكير في كيفية التخلص منك قبل أن تكشف عن المزيد، لكنها الليلة ذاتها التي فاجأته إبنته بحبها لك، الأمر الذي لا أعرف حتى الآن هل قلب الطاولة لك أم عليك؟ لكن ما أنا متأكدة منه أنه لم يكن في صالحي، فقاطعها قائلا: لحظة فقط ،،كيف لكي أن تعرفين كل هذا هل لأن أبيك علمه؟ وكيف لـ(إسكندر) أن يعرف كل هذا؟!

- إسكندر لم يكن أبي ..
- ماذا!! كيف ذلك؟

قالها و دلالات البلاهة تزداد على محياه للحد الذى قد لا تعتاد على وجهه بدونها...

- أبي كان يعمل معك في الشركة موظف فى «البوفيه» تصادقت معه للدرجة التي جعلتك تحدثه بكل ما رأيت حتى بأمر الرسالة لكن ولظروف غامضة تعب أبي بعدها الأمر الذى جعله طريح الفراش ولم ينتظر الموت كثيراً حتى أتاه، وكان (إسكندر) صديق أبي،، وقد علم والدي أنهم سيدبرون لك شيئا وأنك تحتاج إلى حماية وإلى أحد لا يصرف نظره عنك فأخبر (إسكندر) بكل شيء قبل أن يموت، وبعد وفاته إنتقلت للعيش مع (إسكندر) وكانت زوجته قد توفيت ولم ينجب منها فقصَّ علي كل شيء قبل أن

يتركني في منزله هذا ويموت.

هنا أدار (حاتم) نظره في الشقة التي تفضح الفقر المدقع الذي عاشه (إسكندر) والذى لا يتناسب مع المظهر الأنيق الذي رآه عليه، قبل أن تقاطع (ليفا) شرود (حاتم) قائلة: لقد قتلوه..

هنا عاد (حاتم) إلى واقعه و بدا له وكأنه أقل الناس حظاً في المصائب بعد رؤية ما عانته صديقته الوحيدة في هذه البلدة ..إقترب منها وهو لا يجد كلمات يواسيها بها فأزاح الطاولة التي كانت أمام مقعد (ليفا) التي نهشت الدموع خديها ورسم كحل عينيها خطين سوداوين متوازيين و جلس أمامها مفترشاً إحدى قدميه ويثنى الأخرى وأمسك ركبته بيده، ثم أخرج منديلا من جيبه ورفع رأسها ليمسح أثار كحل عينها الذي إختلط بدموعها وكانت تتألم كلما لامس المنديل آثار كدمات وجهها،، ثم سوى جلسته وافترش كلتا قدميه و ربت على كتفيها وسألها في تردد واضح: - هل يوجد شخص آخر في حياتك أقصد هل هناك قريب لكي أو صديق، هل يوجد من تتواصلين معه.

- بالتأكيد هناك أشخاص بحياتنا، فحياتنا لن تكون فارغة، فالوحدة درب من الجنون، هي الموت في حد ذاته، العيش بمعزل عن الناس قد يوردك موارد الهلاك إن لم يكن هو الهلاك بعينه..
- أسأتي فهم ما أقصد .
- وماذا تقصد إذاً ؟
- لا عليك دعك من الأمر فأنا دائماً ما أفشل في مواساة الناس..
- لست فاشلا في هذه فقط فأنت دائماً أيضاً فاشل في الهروب فدائماً ما تفضح عبارات وجهك ما بداخلك،
- هل تقصد أن هناك من أشاركه مشاعري؟

أجابها نافياً وهو يتلعثم في جوابه:- بالطبع لا ما قصدته هل هناك شخص مميز بحياتك تتقاسمين معه ما تمرين به؟.قالت: - وهذا أيضاً ما قصدته،، الآن علمت لماذا لم تكن أنبغ من عمل بمؤسسة (إيزاك)، ثم إبتسمت قائلة: بالتأكيد أمازحك لكن رداً على جوابك كان هناك من أتقاسم معه كل شيء يومي، أحاديثي، مشاعري، من يسرق مني ساعات ليلي، تشتعل بداخلي رغبة العيش ومجاراة تلك الحياة البائسة فقط عند سماع صوته، من تشعر بوجود سبب يبقى على آمالك الباهتة في أن تتحسن الأحوال يوماً ما عندما ترى وجهه، من تتنفس رحيق الحياة وتتأمل أزهى ألوانها بعد معاناة إستمرت طويلاً مع مآسي الزمان، فقط عندما تكون برفقته،، تبسم (حاتم) وكشف عن نواجزه وقال:- أين ذلك المحظوظ الآن؟

ضحكت (ليفا) ساخرة:- المحظوظ! صدقت، فياليت لي مثل حظه لقد أراحته الدنيا من همومها وأثقلت على عاتقي هماً آخر...

لم يتمالك حاتم نفسه وترك دموعه تفضح تأثره لما مرت به (ليفا):- اسف لإيلامك (ليفا)،، لم أقصد أن أذكرك بهذه الأهوال

- لا تأسف صديقي فأنا لم أنساها حتى أتذكرها وهذه الأهوال هي التي أبقتني حية بالقدر الذي يجعلني أتنازل عن ضعف إمرأة كانت أرحم لحظات الحياة بها أن فارقتها أمها يوم مولدها ، لتبقى قوية كفاية لمواجهة ما هو أصعب لكن عليك أن تعلم :» أن تصفعك الحياة مرة خير من أن تباركك ألف مرة «.

استمع (حاتم) إلى معاناة (ليفا) وكأن الحياة قد حسمت قرارها بألا تذيقها شهدها إلا من كأس الألم، فالدنيا رغم حنوها وتعويضها لها عن ماتفقده،، لا تلبث أن تمارس ما إعتادت عليه معها،، وهو أن تحرمها مما تملك،، أراد (حاتم) أن يُخرج (ليفا) من ذكريات ماضيها التي وقعت أسيرة سجنها،،وأن يستثمر معرفتها بشخصه الذي فقده في

هـذه المدينـة وإنهـا تعتـبر كعقلـه الحـاضر بمعرفـة مـاضٍ، لاتتريث أشـباحه في مطاردتـه في واقعـه، بعـد إحباطـه مـن محـاولات الغـوص في قعـر بحـر ذكرياتـه المظلـم، والخـروج بنتيجـة واحـدة، وهـى أنـه لا يقوى عـلى التذكر.

همـس (حاتـم) دون أن تسـمعه (ليفـا):- هـى الحـل الوحيـد لإعـادة ذاكـرتي المهترئـة إلى مـا كانـت عليـه،

لمعرفـة مـاض قريـب لا أتذكـره، وحـاضرا غريـب الأطـوار يتصـل بذلـك المـاضى، فأانـا أشـبه بالـذى ولـج غابـة مـن منتصفهـا وكأن طائـرة أسـقطته فى تلـك النقطـة العميـاء، أمامـه ضباب تتخللـه أشـجارعملاقة آيلة للسـقوط، يبحـث عـن مخـرج، وهـو يقـف عـلى بعـد خطـوات منـه لكنه لا يـراه، ينظرخلفـه فتنعـدم الرؤيـة تمامـاً، أنـا هـو .. نعـم أنـا ذاك الشـخص، صاحـب مـاضى مجهـول وواقـع غـي رمرئـى تشـوبه أحـداث مهيبـة.

– (حاتم) بماذا تتمتم؟

إبتسـامة عريضـة تفـترش محيـاه الـذى تغـير بفعـل علامـات اليـأس القاتـل، ونظـرة تنـم عـن (أن لاشيء مهـم يـا (ليفـا)

– مارأيك أن نعود إلى حيث إنتهى بنا الحديث...

بتلك الكلمات رد على سؤالها.

– ذكرنى إذاً أين توقفنا؟

نطـق (حاتـم) قائـلا: مـاذا قـرر (إيـزاك) أن يصنـع معـى بعـد حديـث إبنتـه معـه؟

– لم يكـن الخـبر بالأمـر اليسـير عـلى (إيـزاك) فقلـب إبنتـه جعلـه يبـدل مسـار خطتـه إضطـر بـدلا مـن قتلـك أن يـشرع فى حمايتـك وإسـتخدام كافـة الطـرق لتحقيـق رغبـة (إليانـا) لكـن كيـف سـيواجهك وكيـف سـيقنعك بحـب إبنتـه الأهـم مـن ذلـك كيـف سـيبعدك عـن مـا

وصلت إليه بأمر تجارته الأخرى وإن كنت لم تكشف عن تورطه بعد.

عدم مجيئ اسم (إيزاك) فى الرسالة كانت بارقة الأمل الوحيدة له، فلن يتكبد عناء أن ينسيك أمر عمله الآخر،، إستبدال المحاسب لديه كفيل بأن يقنعك أنه إتخذ خطوة ناحية إشتراك موظفه فى أعمال العالم السفلى، وبهذا ستقتنع تلقائيا بأنه لا يد له فى هذه اللعبة القذرة، بل إنه أحد رجال الأعمال القلائل اللذين يحاربون مثل هذا النوع من التجارة لكن تبقى له أن يفعل شيئا تجاهك بشأن إبنته وأن يزوجك إياها ، فالدولة لا تسمح بالزواج من أكثر من واحدة وأصبح عليه أن يبعد (فاطمة) عن طريقك..

قال (حاتم) وعلامات الشوق جلية على قسمات وجهه قائلا:- هل تعلمين أين هى؟ أريد أن آراها، أن أطمأن عليها، هل هى بحوزتهم؟

أجابته (ليفا):- اطمئن،، ليست بحوزتهم.

عاود الإرتياح يبدو على ملامح (حاتم) مؤقتاً، فبرغم من جهله مكانها إلا أن بعدها عنهم وطئته أقل.

أكملت (ليفا) قائلة: - هذا هو شرطك لتنفيذ مايطلبون وهو أن يبتعدوا عنها ثم حركت رأسها فى حركة دائرية، وطبعت على وجهها إبتسامة عريضة، وبرقت عيناها بلمعة توضح مدى عشق (حاتم) لـ(فاطمة) وتابعت هنيئا لها كل هذا الحب فهى تستحقه..

قال (حاتم) بصوت تجلت فيه نغمات اليأس والإنكسار: اه يافاطمة أين أنتى الآن؟

ثم أردف وقد إستحضر وجه (فاطمة) فى مخيلته المشتتة:

هل تعلمين يا (ليفا) كم هى تفزع من صغائر الأمور؟

وإستطرد متحسراً على ما ألم بها: كيف لها أن تعيش بمفردها فى مكان لم تألفه بعيدة عن كل من تعرفه؟

ربتت (ليفا) على كتفه قائلة:- ليس هناك داعى لتسرب الخوف إليك فهى بأفضل حال.

نظر (حاتم) إلى (ليفا) نظرة تنم عن التعجب، ضيق عينيه، تداخل حاجباه وكأنهما يتعانقان، ثم قال:- كيف لكى أن تعرفي أنها بخير،،، هل تعلمي أين هى؟

قالت (ليفا):- بالطبع نعم، لم يكن (اسكندر) ليغفل هذه النقطة خاصة لأهميتها عندك.

- لحظة واحدة هل قلتى أن (إسكندر) كان يعرف (فاطمة)؟

- نعم يعرفها جيدا.

قام (حاتم) من مكانه توجه ناحية النافذة في صالة المنزل.

أمسك رأسه بيده وأرجعها إلى الوراء. وقال بصوت مرتفع، لماذا لم يحدثنى فى هذا الأمر بعد أن رآها أمام المطار عند عودتى، لماذا أخفى هذا الأمر وهو يعلم أنى أحبها وهى زوجتي؟، يعلم بشأن ذاكرتى المفقودة، لماذا أخفى كل هذا؟

إتجهت (ليفا) إلى (حاتم) ونظرت إلى ظهره قائلة:- وهلؤ تعرف من أخبر (فاطمة) أن تذهب إلى المطار ذلك اليوم،، إلتفت (حاتم) إليها وأمسك بذراعيها مرة أخرى وكأنه قد إلتقط من حديثها ما من شأنه أن يذهب عنه القلق بشأن زوجته وحدثها قائلا: - هل تقصدين أن (فاطمة) على دراية بما يحدث وأنها تعلم أنى قد فقدت ذاكرتى وأنى لم أتركها برغبتي بل رغما عنى؟

أفلتت ذراعيها من بين كفيه وأمسكت إياهم فى ألم وسألته: - هل بإستطاعتك الحديث دون هذه الحركة؟

إعتذر لها وأشار لها بأن تتابع ،فقالت: كل ماقلته بشأنها صحيح غير أنك مافعلت هذا إلا برغبة منك، فابتعادك عن (فاطمة) كان بإرادتك، وإشراكك فى هذه اللعبة كان بسبب (فاطمة).

- كيف هذا ما دخل (فاطمة) بكل هذا؟

- (حاتم) الوقت قد تأخر الآن، وغروب الشمس فى هذا المكان ينذر بالحذر دائما، سأكمل لك ماتبقي فى صباح الغد، عد إلى منزلك الآن.

نظر (حاتم) فى ساعته بحركة لا إرادية إستجابة لكلام (ليفا) فوجدها تخطت السابعة فقال: - حسنا توجب على الذهاب،،،، (ليفا) سأغادر الآن لكن سآتيكِ مع إنبلاج فجر غد.

ذهب (حاتم) وهو شارد الذهن وكأن عقله قد غادر رأسه، يتسائل فى ندم:- كان عملى كمحاسب أفضل بكثير مما أنا عليه الآن، ماذا جنيت؟ حفنة من المال؟ لم أحصل على شئ، لا بل جنيت متاعب لا حصر لها، ماذنب تلك المسكينة وأين هى الآن، وماذنب (إسكندر) ليقتلوه بسببي؟ ماذا فعلت؟ بل ماذا ستفعل ماذا تخبأ لي الحياة؟ ألم تكتفى بعد.

بوق سيارة بصوته المزعج أعاد (حاتم) إلى واقعه، كادت أن تصطدم به لولا تنحيه بعيدا عنها، سمع سباب سائقها وهو يذهب بعيدا، لكنه أجابه قائلا: - لماذا نبهتنى لماذا لم تصطدم بى ما لذى منعك، لماذا لم تريحنى من هموم هذه الحياة؟ حتى الموت هو الآخر صار عدواً لى الكل يسعى إلى أخذ ما يريد.

أوقف (حاتم) عربة أجرة، ليذهب إلى مسكنه، دلف إليها وهو فاقد الشعور بالوقت. وكأنه سقط فى متاهة اللا زمان واللا مكان أعطى السائق العنوان وما إن وصل حتى أعطاه أجرته دون إنتظار أخذ ماتبقي له ، دخل إلى الفندق دون أن يحدث أحد، متجاهلاً موظفة الإستقبال كأنه لم يراها، ذهب مترنحا كالذى أذهبت صحوته الخمر دخل إلى غرفته،،،ألقى مفاتيحه على مكتبه وأخرج منديل (فاطمة) من مخبأه، أخذ يشم رائحته وكأنه يشم عبير أنفاسها الدافئة، يضمه إليه وكأنه يضمها بين ذراعيه، تتوافد إلى رأسه ذكريات ماضيهما الذى لا يتذكر فيه سوي حبهما البرئ فى مدرستهما، فتح النافذة أخذ ينظر إلى السماء ويوجه حديثه إلى نجومها اللامعة : ألا ليت لى مثل راحتك، يحتضنك صفو السماء.

ثم تابع: - ألن يكون هناك إستثناء اليوم ألا يمكن أن تأذنى للشمس أن تخرج الآن لتبدد تلك العتمة،، نظر إلى ساعته وأكمل: هل توقفتى عند التاسعة، هلا تخطيتيها إلى السادسة صباحا، دون إعتبار لنسق الوقت.

«العودة إلى ليفا»

نظر (حاتم) إلى المنديل الذى إستقرت عليه بعض قطرات من دمعه المنساب على خديه وقال:- لن أنتظر أكثر سأذهب إلى (ليفا) ولن يعنينى تأخر الوقت و سوف تلتمس لى عذرى.

نزل مسرعا من غرفته تسمع صوت ضرب حذائه للدرج فى تناغم وقف أمام الفندق يتلفت يمينا ويسارا فخطف نظره يسار الفندق ماكان يبحث عنه، عربة أجرة توقفت دون حراك فى إنتظار أن يأذن لها الضوء الأخضر بالمرور ،هرول إليها ومع إقترابه منها ببضعة أشبار فاصلة، تحركت العربة فى طواعية لأبواق السيارات خلفها وكأنها تناديها حان وقت الذهاب، إستمر حاتم فى خطواته مهر ولا

خلف السيارة ملوحا ببطن كفيه إليها أن إنتظرى ونسمات الهواء تداعب قسمات وجهه التى إنتابها الشحوب، لكن بائت محاولته بالفشل فوقف فى هيئة الركوع حانياً ظهره للإمام ممسكا بركبتيه من شدة الألم يتساقط العرق من جبينه الندى وصدره يعلو ويهبط فى تناغم يتسابق شهيق أنفه وزفيره أيهما يدخل وأيهما يخرج أنفاس متسارعة وكأن صاحبها قد إنتهى تواً من سباق.

لحظات قليلة وإستقرت أمام ناظريه عربة أجرة أخرى، نادى عليه سائقها:- سيدى هل تريد أن أقلك إلى مكان.

دون تردد أو حتى أن ينبس ببنت شفة فتح الباب بجوار السائق جلس بجانبه: وأعطى له العنوان لكن قبل أن يتحدث السائق عن بعد المكان أسكته مبلغ من المال وضعه (حاتم) أمامه مشيراً بإصبعه: - هذا لك أريد أن أصل فى أقل من نصف ساعة.

إنطلق السائق بالعربة تجاه منزل (ليفا)، منطقة لا يغادرها السكون المفضى إلى الرعب، ما أن تدخلها حتى تسري فى جميع أعضائك رعشة وكأن أوصالك تستجدى الخروج منها، مصابيح أعمدة الإنارة تعلن خصامها الطويل مع الإضائة.

شج الضوء الخارج من مصابيح السيارة شبح الليل الجاثم، تنظر إلى السماء وتتساءل هل هذا صفو أم أنها فقط تعكس سكون المكان، ذهب (حاتم) فى خطوات منتظمة تسمع وقع نعليه فى إنتظام، يتلصص بعينيه و يهتدى فى سيره بأنوار المنازل المضائة حتى وقف أمام منزل (ليفا) يستجمع الكلمات، يحاول البحث عن حجة منطقية لقدومه فى هذا الوقت من الليل نجح في التوصل إلى حجة لم تكن حجة فقط، بل إنه السبب الحقيقي لمجيئه.

طرق الباب وإستمر لدقائق حتى سمع صوت يناديه:- يا سيد من تريد، كان الصوت لأحد المارة، رجل يمسك عصا يتحسس بها

خطواتـه فى الظـلام وفى يـده الأخـرى طبـق بـه بعـض القطـع المعدنيـة والورقيـة، أشـعث غـير مرتـب الملبـس، تفـوح منـه رائحـة تنـم عـن أن صاحبهـا نـسي أن هنـاك مـاء لإزالـة ماعـلى بدنـه مـن أوسـاخ علـم (حاتـم) مـن هيئتـه أنـه شـحاذ، فقـال لـه: إذهـب ليـس معـى مـالاً أجابـه الرجـل: - وهـل طلبـت منـك مـال، مـا أردتـه هـو مسـاعدتك بأمـر مـن تبحـث عنـه، هـي ليسـت بالمنـزل لقـد غـادرت.

ذهـب الرجـل فى طريقـه وأختفـى عـن أنظـار حاتـم الـذى قفـز أسـفل الـدرج ينـادي الرجـل:- أيهـا الرجـل، تمهـل، أعتـذر عـن طريقتـى الغليظة تلـك أرجـو أن تسـامحنى، فأجابـه قائـلا: - لاعليـك يـا سـيدى لقـد قلـت لـك ماعنـدى أعتـذر مـرة أخـرى.

أدار (حاتـم) ظهـره إلى الرجـل وذهـب وعلامـات اليـأس ترتسـم عـلى وجهـه، فنـاداه الرجـل سـائلاً إيـاه: - ألا تريـد أن تعـرف أيـن ذهبـت،،، كالبـدر الـذى بـدد سـحب الظـلام كانـت كلـمات الرجـل لـ(حاتـم)، رجـع إليـه متلهفـا سـماع الجـواب وقـال: - هـل تعـرف أيـن ذهبـت؟....

أجابـه: - نعـم رأيتهـا تذهـب... هنـا رجـع (حاتـم) إلى الخلـف خطـوة ونظـر بعينيـه إلى الرجـل نظـرة متعجبـة، تجولـت عيناه مدققـة فى هيئتـه، عـاد مـرة أخـرى ملوحـا بيديـه أمـام أعـين الرجـل فى إشـارة منـه عـلى السـخرية مـن حـال الشـحاذ الـذى إسـتمر فى حديـث لم يسـمح (حاتـم)٠ لـه بالمـرور إلى أذنيـه متسـائلاً كيـف لأعمـى أن يـرى ياالحماقتـى، كيـف أسـمح لنفـسي أن أضيـع وقتـى فى هـذه الترهـات، عـلي أن أعنـف هـذا الشـحاذ، كيـف لـه أن يهـزئ بـى ويقـول أنـه رآهـا وهـو لايبـصر أمامـه،، قاطـع (حاتـم) حديـث الرجـل قائـلا: إليـك عنـى هـل تريـد أن تسـخر منـى لأنـى لم أعطـك مـالا، كيـف تدعـي الرؤيـة وأنـت أعمـى، هـل تعلـم أنـى بحاجـة إلى كل دقيقـة فى وقتـى.

إبتسم الرجل إبتسامة خفيفة وأزاح بيديه بياض عينيه الذي كان عدسات لاصقة وكشف عن عينين معافتين تماما، أمسك الرجل بالعدسة ورفعها أمام أعين (حاتم) قائلا: - سيدى ما هذا؟ لا حيلة لكسب قوت يومى فأنا كما ترى رجل طاعن فى السن أقطن على يمين منزل (إسكندر) منذ ثلاث سنوات وأشار بيديه ناحية منزله الذي كان عبارة عن غرفة تخترقها الشمس بفعل الثقوب الموجودة فى جدرانها المكونة من الصفيح، تفتقر إلى المكونات الآساسية للبناء، فى إنتظار رياح خريفية تأذن بإقتلاعها من مكانها، ثم تابع: - لقد رأيتك صباح اليوم عندها، لذا لما أتيت ثانية قررت أن أقص عليك ما حدث فقال (حاتم) وقد فقد الإحساس بالطمأنينة فى حديث الرجل وأشتم رائحة المصيبة: - هل لك أن تقص علي ماحدث من فضلك، فاستطرد الرجل: بعد ذهابك بدقائق جائت سيارة ترجل منها أربعة أشخاص، أقلهم لو ركل بقدمه غرفتى لأصبحت هى والأرض سواء، ذهبوا إليها وأخذوها معهم ولم تنطق بشئ، بدا وكأن الأمر طبيعى أو كأنها تعرفهم، لكن منذ قدومى هنا لم أري أي غريب يأتى إليها سوى قبل موت (إسكندر) بيوم واحد، كان يقود سيارة تشبه التى أخذت ليفا. سأله (حاتم) بصوت متهدج: - هل رأيت لوحات السيارة ؟

فقال: - لم أدقق لكن كلتا السيارتين كانت تحمل على زجاجها الخلفى نفس الشعار.

- ما هو؟ كيف كان هل تستطيع تمييزه؟... هكذا قاطع (حاتم) الرجل قبل أن يجيبه: - أنا ماهر فى الرسم أستطيع أن أرسمه لك لكن أين الورق،،

فأخرج (حاتم) من جيبه نقود ورقيه وقلم وقال للرجل: - ابدأ..

نظر إليه الرجل فى تهكم، وكأنه يقول تريدينى أن أرسم عليها وأنا أسعى طوال ساعات يومى لأقل منها، على كل ما دخلى له حق

التصرف فى أمواله.إنتهى الرجل من الرسم فرفع (حاتم) الصورة إليه و قفز قلبه فور رأيتها وإتسعت عيناه وهو يبتلع ريقه فى صعوبة كبيرة وقال بصوت خافت: - «إيذيدور للبرمجة».

انصرف الشحاذ بعيدا عن أنظار (حاتم)، الذى ظل يحدق فى الورق بعينه التي ظلت ترمق العبارة المنقوشة على الورقة، بينما سافر عقله بعيدا متسائلا ما الذى حدث؟ ولماذا يفقد دائما كل من يساعده للحصول على الحقيقة؟؟ لماذا تتباعد الخطوات دائما بينه وبين معرفة ما يدور حوله؟؟

أشاح بعينيه فى ظلمة المكان حوله وكأنها سيطرت على حياته، عض بأسنانه على شفته السفلى، مزق الورقة إلى قطع صغيرة و نظر إلى السماء ثم نثر أشلاء الورقة إلى أعلى وهو يضحك بصوت عالي كاد يشق ظلمة المكان، ثم أتبعه ببكاء يفضح فقدانه كل أمل. خلع عنه معطفه وعلقه فى إصبعه كالمشجب خلف ظهره وهو يسير وسط الظلمة القابعة فى كل أرجاء المكان، يتحسس خطواته على أضواء المنازل خشية التعثر فى شيئ، يصل إلى ناصية الطريق لا يفكر سوى فى كيفية معرفة ما تبقى من قصته .. كان يؤمن فى داخله أن (ليفا) ستنالها ألسنة إيزيدور لقربها منه وحديثها معه.. تتوقف أمامه إحدى عربات الأجرة فيشير إلى سائقها دون أن ينظر إليه بأن يذهب فهو لا يود الركوب، إنتهت بأقدامه المطاف فى موقف للحافلات سمع ندائات سائقها التي أشارت بانها ستمرعلى الفندق حيث مكان إقامته، تقدم إلى وسط الحافلة وجلس بجانب النافذة، وظل يداعب بعينيهم عالم شوارع (وارسو) إلى أن توقفت الحافلة فى إحدى المحطات منتظرة ركوب البعض ممن يقفون فى المحطة، ثم إستأنفت المسير نحو وجهة حاتم . وبعد لحظات توجه أحد الركاب الذين صعدواعلى متن الحافلة نحو المقعد الشاغر بجانب (حاتم) لكن قبل ان يجلس نظر الرجل نظرات مريبة إلى (حاتم)،، وترك عينيه تتفحصه،، ثم أمال

جسده لينظر إلى وجه (حاتم) الذى ظل محدقا فى الطريق دون أن يشعر بوجود غريب الأطوار هذا بجانبه، ثم نطق الرجل بصوت بدا عليه التعجب: - (حاتم الطحان)! لا أصدق.

إلتفت (حاتم) إلى الرجل فور سماع اسمه ونظر إلى وجهه المستدير وإبتسامته العريضة وزيه الأنيق، شعر أسود، عينان زرقاوان، معطف يخبئ إحدى أكبر العلامات التجارية للبزة التي يرتديها خلف معطفه. إرتسمت علامات الدهشة على وجهه .أزدادت بعد أن مد الرجل يده ليصافحه، ثم جذبه نحوه وعانقه بشدة حتى كاد يطبق على أنفاسه، وأخذ يربت على كتفيه مكررا:- لا أصدق نفسي، لقد مر عامان منذ آخر لقاء لنا يا صديقي، لقد قابلت زوجتك مؤخرا وأرسلت لك سلامى معها، آسف بشأن طفلكما هى أخبرتنى بالحادث.

سطرت آمارات البلاهة صفحة وجه (حاتم). فهو لا يدري أي شئ مما يحدثه به الرجل.

هم أن يسأله أى طفل تتحدث عنه، وأين رأى (فاطمة) ولكن لم تسنح له الفرصة أن يسأل، فقد ظل واقفا أمام عبارة تلفظ بها الرجل:- «المسكينة (ليفا) كانت تأمل فى طفل يشبهك»..فهى كثيرا ما أحبت وسامتك.

فى القصر

يجلس على كرسيه فى إحدى زوايا بهو قصره الفاخر، مستقبلا البيانو الخاص به، فكعادة رجال الأعمال يتطلع دائما إلى المظاهر الخداعة بإقتناء مثل هذه الأشياء للتباهى بها، حتى لو لم يكن يعرف كيف يستخدمها .

لكنه أجاد العزف بكل مهارة و أشار إلى خادمه بأن يخفض من أنوار القصر ليبدأ فى مغادرة واقعه،، ويهيم وسط خيالاته ويشرع فى العزف.

- إنطفأت أنوار القصر وخرج ضوء أزرق خافت من تمثال يربض على الجهة الأخرى فى مواجهة البيانو،، كانت مثال لإمرأة تنظر إلى الأسفل تظهر على وجهها علامات الإنكسار والإستسلام ترتدى زيا يستر جزء كبير من جسدها المنحوت.. إرتشف جرعة من كأسه ووضعه على ظهر البيانو،، وأخذ فى العزف...

إندمج سريعا وأخذ يحرك فى رأسه هائما بما يعزف،،، أنهى مقطوعته ثم وقف وأخذ ينحنى وكأنه يقدم تحية لمستمعيه ثم صفق بصوت مسموع قائلا:- أحسنت أحسنت لو أن «بيتهوفن» موجود بيننا لن تتوقف يداه عن التصفيق لى، تستحق مشروب على هذا الآداء الراقي،،رفع كأسه من فوق البيانو وقام بهزه جيدا في يده حتى أذاب السائل قطع الثلج الموجودة بداخله أنهاه كله فى رشفة واحدة، كان يتميز بنهمه الشديد للشرب الذي ينجح دائما فى إخماد ذاكرته

المشتعلة بمشهد وفاة زوجته.،،، عادت أنوار القصر تضاء مرة أخرى لتكشف عن فخامة المكان الذى بدا وكأنه من تصميم أحد مهندسي روما القدماء، بهو كبير، أعمدة رخامية عملاقة، يقع سلمه فى مواجهة الباب ويفضى درجه إلى الطابق الثانى وينتهى بممرين عن يمينه ويساره وفى المنتصف صورة عملاقة إزدان بها الحائط ،، كانت لإمرأة بيضاء دقيقة الملامح تتشابه تقاسيم وجهها مع وجوه اللاتينيات، بشعر أحمر، وعينان زرقاوان، تشبه (ليفا) إلى حد كبير، لكنها بدت فى أواخر الأربعينات. جلس على ركبتيه عند درجة السلم الأولى أغمض عينيه وأطبق كفيه ووضعهما فى مواجهة صدره .،،أخذ يرتل كلمات كأنه يخاطب شخص ما أو يترجاه أو يتوسل إليه.،،سقطت قطرات من دموع عينيه الدافئة وإنسابت على خديه واختفت فجأة بين شعيرات شاربه الكث الذى بدا وكأنه مصطنع وليس حقيقي.،، رسم علامة الصليب على صدر هو وجهه وكأنه إنتهى من صلاته للتو وقام من جلسته وتوجه ناحية اليسار حتى وقف أمام باب خشبى أبيض اللون بمقبض ذهبى ،،أخذ شهيقا كبيراً وأخرجه فى هدوء تناغم مع حركة ذراعيه اللتان أمتدتا أمامه كأنه يسمح لأنفاسه بالخروج ويقوم بالإستعداد لمواجهة مايقبع خلف الباب،،

فتح الباب ووجدها تجثوعلى ركبتيها وقد عقدت يديها خلف ظهرها وإنسدل شعرها ليغطى ملامح وجهها، و لاصقة على فمها تمنعها من الكلام وليس الهمهمة.

سار بإتجاهها بخطى ثابتة وجلس أمامها ثم رفع رأسها بيده التي دست داخل قفاز أبيض يتناسب مع أناقة ما يرتديه،،كان يرتدى بزة سوداء تشبه تلك التى ظهر بها دراكولا فى أفلامه السينمائية الشهيرة أو تلك التى يرتديها الموسيقيون فى حفلاتهم، ويرتدى أسفلها صدرية سوداء تحتها قميص أبيض تميز بخلوه من رابطة عنق.

رفع شعرها وأخذ يزيحه عن وجهها، تحسس بيده وجهها وهى تقاوم متأففة من شدة وجعها، وتحرك رأسها بعيداعن يده،، جذبها إليه بقوة وأوقفها من مجلسها، فك وثاق يدها وجذبها بشدة آلمتها إلى بهو القصر، وتوقفا أمام صورة المرأة أعلى السلم.

دفعها أمامه و قام بجذب شعرها إلى أسفل لترفع رأسها بتلقائية، أخذت تتأمل الصورة وهى تزداد فى البكاء، وهو يقول لها : أنظري جيدا إليها، هل تتذكرينها ؟ هل تتذكرين والدتك يا (ليفا)؟

داخل الحافلة

نظـر (حاتـم) إلى الرجـل فى بلاهـة، إنفرجـت شـفتاه، كادت حدقتـاه أن تغـادرا عينيـه معلنـاً عـدم درايتـه لمـا يقـول، سـأل الراكـب:- عـذرا أي زوجـة تقصـد؟! أعـد عـلى مسـامعي مـا قلتـه لتـوك،، تابـع الرجـل قائـلا: - لقـد إفتقدتـك منـذ عامـين ،، أشـار (حاتـم) إليـه بكفـه أن يتوقـف، ثـم قـال: تجـاوز هـذه النقطـة،، فقـال الرجـل: لقـد قصـت عـليّ (ليفـا) ماحـدث لطفلكـما،،

- توقف من فضلك، عن أى (ليفا) تتحدث؟.

فتغـيرت ملامـح وجـه الرجـل قائـلا بصـوت متهـدج:- (ليفـا) زوجتـك يـا (حاتـم)، هـل ثمـة أمـر حـدث بينكـما؟

جـذب (حاتـم) الرجـل مـن ياقتـه بعـد أن صـاح فى وجهـه: أصمـت لا أريـد سـماع المزيـد، يكفينـى هـذا.

نظر إليه مندهشا وقال:- (حاتم) ماذا تفعل الجميع ينظر إلينا.

أعـادت تلـك العبـارة إلى (حاتـم) رباطـة جأشـه الـذى فقـده منـذ برهة، تـرك ياقتـه وربـت عـلى صـدره قائـلا: - مـن فضلـك أغـرب عنـى.،،، وأشـار إليـه أن يذهـب عنـه فهـم الرجـل بالمغـادرة قبـل أن يمسـك (حاتـم) بذراعـه ليتوقـف وقـال بصـوت مرتبـك:- أرجـو أن تلتمـس لى العـذر، وضرب صـدره بيـده وبـدأ بالبـكاء قائـلا: - لم أعـد أعـرف مـن أنـا، ثـم دفـن وجهـه فى كفيـه ونظـر إلى الأسـفل وجلـس فجلـس الرجـل

بجـواره وجذبـه إليـه وقـام بضمـه إلى صـدره مهدئـا إيـاه، وبعـد لحظـات توقـف حاتـم عـن البـكاء،، وقـام بإبعـاد جسـده عـن صديقـه الجديـد وجـذب ياقتـه مجـددا وأشـار بإصبعـه فى تحذيرواضـح:- إيـاك والكـذب عـلى فأنـا لم أعـد أتحمـل...

- كذب ماذا؟؟ أنا لم أكذب عليك مطلقا ياصديقى...

فرد عليه (حاتم): - إذا هل ستصدقنى فيما أقوله لك؟

- بالطبع يا رجل فلما لا أصدقك ،، لقد إشتقت للحديث معك ،،
- الأمـر مختلـف هـذه المـرة فربـما ترمينـى بالجنـون، لا أعتقـد أنـك سـتصدقنى.
- فأجابـه الرجـل: - أنـت تثـير قلقـي يـا صديقـي مـن فضلـك تحـدث مبـاشرة...

نظـر (حاتـم) حولـه فى ترقـب واضـح ثـم قـال بصـوت خافـت: - لقـد أوشـكنا عـلى النـزول سـأحدثك فـور أن نغـادر الحافلـة فربـما أرسـلوا أحـد لتتبعـي عـلى متـن الحافلة،،،وأشـار بإصبعـه تجـاه الراكـب عـلى يمينـه: - ربـما هـذا أو ذاك فى الخلـف، ربـما السـائق،، كانـت علامـات الدهشـة هـى السـمة الوحيـدة التـى علت وجـه الرجـل،، فقال لـه (حاتـم): - لا تتعجب سـأوافيك بكامـل القصـة فـور نزولنـا إنتظـر لحظـات قليلـة لا تتعجـل.

فسـأل الرجـل (حاتـم): - هـل تعانـى مـن إضطـراب نفـسي هـل أنـت مريض بشـيئ؟

لقد تغيرت يا صديقي منذ آخر لقاء لنا...

فـرد عليـه: - أنظـر، لقـد قلـت أنـك لـن تصدقني...وبالفعـل شـككت فى قـواي العقليـة قبـل أن أتحـدث... بالطبـع سـتتهمنى بالجنـون بعـد أن تسـمع مـا عنـدى، أنصحـك بنسـيان الأمـر وعـدم الإهتـمام بـه...

- عـذرا يـا صديقـي لم أقصـد أن أشـكك فى شـيئ ولكنـك تبـدو عـلى غـير المعتاد...الحالـة التـى أنـت عليهـا الآن لم أشـاهدك عليهـا مـن قبـل، لسـت (حاتـم) الـذى كانـت عروقـه تنبـض بدمـاء الأمـل ذاك الـذى كانـت تقـع رائـدة البرمجـة الأولى فى بولنـدا وربـما فى العـالم تحـت إدارتـه، (إيذيـدور) ليـس مـن السـهل أن يـشرف عليهـا أى شـخص فى حيـاة(إيـزاك)،بالطبـع أنـت زوج إبنتـه لكنـك كنـت الأفضـل دائـما...

فقاطعه (حاتم) بقوله: - إنتظر لا تتحدث بشئ آخر،

هـا هـى نقطـة توقفنـا، سـنغادرالحافلة وسـنأنس بالحديـث طـوال الليـل،،

ثـم ضحـك وهـو يقـول: - فلـم أفعـل شـيئا فى هـذه المدينـة سـوى الإسـتماع، والعجيـب أنـه دائـما مـا تختلـف الروايـات حتـى كـدت أن أجـن.....

قهقه (حاتم) ساخرًا من حاله قائلا: - كدت!

وتنهـد ثـم قـال:- لقـد أصبـت حقـا بالجنـون،، هيـا ياصديقـى إهبـط درج الحافلـة ودعنـا نغـادر دون جـذب مزيـد مـن الانتبـاه..

قـال الرجـل:- أيـن سنسـتشمر حديـث ليلتنـا المقمـرة وأشـار بإصبعـه صـوب الفنـدق: - هـل مـا زلـت تقطـن في متحـف الفراعنـة هـذا؟

- بالطبع نعم فأنا لا أعرف سواه ولكننا لن ندخله سنجلس هنا..

فقـال الرجـل متعجبـا: - هنا أين؟ هـل تقصد أننـا سـنتحدث فى الطريق هكـذا؟ (حاتـم) يـا صديقـى هـل صرت بخيـلاً لا أريـد أن أتنـاول شـيئا...

فنطـق (حاتـم) قائـلا: مـاذا فهمـت لم أقصـد الشـارع بالتأكيـد لكننـى أفضـل تلـك الحديقـة، أشـعر بأنهـا الشـئ الوحيـد الأقـرب إلى قلبـى فى بولنـدا و كأننـى ألتمـس الأمـان فى باحتهـا .

- بالطبع لست مستغربا فهى شاهدة على أول لقاء لك بـ(ليفا) كما أنك فضلتها على سائر فنادق المدينة لتعقد زفافك وسط أشجارها،، عاود (حاتم) ضحكاته بصوت تردد صداه داخل تلك الحديقة..

- لماذا تضحك يا صديقى..

أجابه بصوت تتخلله بقايا قهقهته: - ليس سخرية منك بالتأكيد لكن هل ستصدقنى إن أخبرتك بأنى لا أذكر شيئا مما تقول.

obeikan.com

فى المطعم

– سأذهب لها الآن لابد وأن أخلص أختى من براثن هذا المريض لن أتركها يا (كايلا).

فتاة بوجه أبيض مستطيل، أنف دقيق كحد السيف، عينان خضراوان لن تستطيع مقاومة نظراتها، جفون ناصعة السواد مدببة عند النهايات بفعل لمسات من الكحل، شعر أصهب، ترتدى فستانا ينحت جسدها الممشوق يخجل من أن يخبئ جمالها، فإكتفى بالتدلى حتى ركبتيها، شفتان ممتلئتان وصوت تستقي منه ألحان قيثارة لأفضل المعزوفات على الإطلاق...

– هل فقدتى عقلك (إليانا).

بهذه العبارة تلفظت (كايلا) محذرة صديقتها بخطورة ما تنوي القيام به .

– لقد هاتفتك للإطمئنان على حالك، ورفضت مجيئي البيت عندك وطلبت رؤيتك هنا حيث أفضل المطاعم التي كلفتني نصف داخلي الشهري، فهل ستتركيني فى هذا المكان بهذه الطريقة، وتذهبي لإنقاذ أختك من ويلات جحيم أرادت دخوله بنفسها؟..، (إليانا) إستمتعي برؤية الطريق من هنا،راقبي حال الناس فى صمت، دققي فى وجوههم، غوصي في عالمك الخاص وأتركي لشقيقتك عالمها...

– كيف أتركها،،، قطعًا لن تتحمل هذا التعذيب وستموت فى نهاية المطاف.

ردت عليها (كايلا): – (ليفا) ليست ضعيفة إلى هذا الحد (إليانا) ستحصل على مبتغاها فى النهاية وستكونين شاهدة على تتويجها كأفضل إمرأة فى بولندا، ربما لن يسمع العالم عن نجاحها شئ لكنك ستسمعين بكل تأكيد.

أنهت كلامها ثم غمست «شوكتها» بداخل قطعة اللحم وسكينها يستمتع بتقطيعها إلى أجزاء صغيرة، رفعت قطعة اللحم المثبتة فى أسنان الشوكة، ونظرت إليها فى نهم وكأنها تودعها ثم قالت: – (إليانا)، إنظرى إلى قطعة اللحم هذه وكيف لها أن تشبع عينيك ومعدتك، ثم تناولتها وأخذت تقول وهى تمارس عمليات المضغ مخرجة ذلك الصوت الذي يبعث على الاشمئزاز المتنافى تماما مع أنوثتها الطاغية، حتى قطعة اللحم ستحظى بمثواها الآخير كل له نهاية حبيبتي، وبالتأكيد ستنتهى شقيقتك من تلك المعضلة عما قريب.

– يا لحماقتى أترك شقيقتي تعاني هول ذلك المريض وأجلس أستمع إلى نصائح اللحم خاصتك.

نهضت (إليانا) وألقت السكين من يدها على المنضدة فأحدث صوتا فور إرتطامه بأحد الأطباق جذب أسماع كل من فى هذا المكان، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت مبلغا من المال يبدو أنه ضعف دخل (كايلا) وقالت: لا تحزنى على مالك هذا سيعوضك، وإن أردتي مواساتي مجددًا فعليكي أن تنتقي أسلوبا أفضل أما عن شقيقتي فسأنجح في إنهاء معاناتها وإن كلفني الأمر السير على الجمر عارية القدمين.

توجهت (إليانا) في حنق شديد تجاه الدرج المفضي إلى الطابق السفلي للمطعم

- «تبا لهذا الغضب الذي زادها جمالا فوق جمالها «

خرجت تلك العبارة من أحد الجالسين فى المطعم والذي سمع حديثهما بأكمله من طاولته المجاورة لهم

- «إليانا إنتظرى «- لكنها لم تبدِ أي تراجع عن قرار مغادرتها المكان وسارعت (كايلا) خطواتها وظهر جليا حذرها من التعثر بسبب ردائها الضيق وهى لاتردد سوى

«إليانا إنتظري»

وقفت خارج الباب فى إنتظار وصول سائق سيارتها الفارهة، فلطالما تمكنت من الإستمتاع بأموال والدها، تزيح خصلات شعرها من فوق وجهها فى غضب واضح، أمسكتها (كايلا) من يدها ونطقت فى غضب هل إستمتعتي بنظرات الناس المهينة إلي لتجاهلك ندائاتى

عاتبتها إليانا قائلة:- ماذا تريدين الآن، للمرة الأولى أكتشف طباعك المريضة.

- ماذا تقصدين هل تطلقين على خوفي من أن تقعي فى ما وقعت فيه شقيقتك طباع مريضة؟

- لا بل الأنانية التى رأيتها منذ لحظات هى المرض بعينه،، توقفت سيارة صفراء ذات طابع نسائي واضح عارية السقف بمقاعد سوداء قاتمة، ترجل منها شاب فى عقده الثالث يرتدى زيا أبيض ويعتمر قبعة بلون الزى وقفازاً أبيض فى يديه، خمرى اللون وتوجه ناحية الباب الآخر للسيارة وقام بفتحه وعيناه تنظران إلى الأرض في خجل من ربة عمله، ركبت (إليانا) فى المقعد الذى فتح السائق بابه ثم أنطلق ناحية مقعده، لكن قبل أن يغادر أوقفته كلمة: -»إنتظر»

خرجت من فم (إليانا) التى قالت وما زالت علامات الحنق تفترش محياها الأندلسي: - (كايلا)، (ليفا)،، ليست أختي فقط بل هى أمي بعد أن فقدتها ولن أتحمل خسارتها هي الأخرى وسأنقذها مهما كلف الأمر.

وتوجهت بعينيها إلى سائقها قائلة:- انطلق الآن إلى قصر والدى.

obeikan.com

الحديقة

– ماذا تعنى بقولك أنك لاتتذكر شئ.

تغيرت ملامح (حاتم) الضاحكة إلى وجه جدي عابث وقال: – نعم لا أتذكر شئ، سأقول لك شئ وعليك ألاتعجب، أنا لا أعرف من أنت،لا أتذكر أنى إلتقيتك قبل هذه المرة، هل تعلم أن زوجتى اسمها (فاطمة) وقد جائت معي من مصر إلى هنا، والآن لا أعلم عنها شيئا،،

– ما لذي تقوله يارجل هل بدأت فى تناول المسكرات؟

– أعلم جيدا أني لن استطيع إقناعك؟؟ كيف سأفعل وأنا غير مقتنع به بالطبع سأفشل فى جعلك تصدق ما أقول.

فقال له الرجل:– تتذكر كونك (حاتم) تسكن فى نفس المكان تحب الجلوس فى الحديقة كعادتك وتدعى فقدانك الذاكرة !!

إذا أردت أن أذهب عنك،، فقلها مباشرة لا داعي لإختلاق تلك المشاهد الكاذبة، نطق (حاتم) وهو مازال محافظا على رباطة جأشه:– سيدي من فضلك لاتتهمني بالكذب، إما أن تصدق أو تدعني أصمت ولا أقص عليك شئ وإذا أردت الرحيل فلن أمنعك.

– كيف لي أن أصدق تلك الترهات ، ثم من هى (فاطمة) هذه ؟

- كيف لك أن تدعي بأنك صديقي ولاتعرف زوجتى؟

- هل تزوجت إمرأة غير (ليفا)؟ كيف سمحوا لك بفعل هذا؟

هنا تحولت صفحة وجه (حاتم) لإمتعاض واضح من طريقة إستيعاب الرجل لكلامه ثم قال فى صوت هادئ مخرجا عبارته مفصلة و أخذ فى تقطيع كلماته قائلا:- أنا لم أتزوج (ليفا)، لم أتزوج سوى (فاطمة).

- هل تقصد (فاطمة) التى حدثتني عنها مسبقا؟ تلك التى أحببتها فى مصر؟

تنفس (حاتم) بهدوء، وقد إرتسمت بسمة كبيرة على وجهه و شكر ربه أنه قد فهم آخيرا:- عذبتني يا صديقي، تلك التى حدثتك عنها لم أكن فى يوم زوجاً لغيرها.

فتح الرجل معطفه وفك رابطة عنقه، وأخذ يضرب بطن كفه بظهر الآخر ثم نظر إلى السماء وقد بدأت علامات الضيق وإستعصاء عقله على تقبل الحديث فى الظهور، وقال بصوت جهورى واضح:- (حاتم)،، لقد أخبرتنى من قبل أن (فاطمة) قد تزوجت قبل أن تنهى دراستها الجامعية من أحد شباب قريتك الذي كان يعمل بالخارج، وهى لم تأتي إلى هنا مطلقا.

- كيف تسألني أن أصدق ماتقول؟

- من الجلي أنك لم تفقد ذاكرتك فقط بل فقدت حسك المنطقي.

بدأ (حاتم) يستعيد شتات عقله،، ويشحذ ذاكرته معنفا إياها أن تتذكر وفى رأسه آلاف الأفكار التى عجزت عن الإستقرار، بعضها ينفى البعض وآخر ليس له علاقة لايتذكر سوى ذهابه من عمله متعبا، صعوده إلى الحافله، هبوطه من الطائرة . مالذي حدث،، لما

تلك الفجوة السوداء بين الحدثين،، يترنح كالذي أذهب الخمر عقله حتى كاد أن يسقط فمد الرجل يده لينقذه، نظر إليه (حاتم) بمقلتين يظهران تارة وتغلقهم الجفون تارة أخرى وقد غلبه ضعف جسده ووجه إليه سؤال وجد طريقه للخروج من بين ثناياه بإرهاق شديد وقد إتكأ بجسده كاملا على الرجل وهو يسأله بصوت متهدج: - «من أنت؟»

obeikan.com

لعنة ٣٠٧

فى الصباح وجد نفسه ملقى على سريره بداخل غرفة الفندق،، تنبه من نومه بعد أن تغلغلت الشمس إلى الحجرة وأرست أشعتها على وجهه فبدأ في عمليات إغلاق لفمه الذي فُتح على مصراعيه وأخذ يفرك عينيه طاردا بقايا النوم منها،، ورفع الغطاء من على جسده وحرك قدميه فى وضع الإستعداد للقيام والتأهب ليوم جديد فى البحث عن هويته المفقودة، لكنها توقفت دون حراك وكأن قد أصابها تخثر دموى . غاضت الدماء من وجهه بل إن الحياة ذاتها قد رحلت عن بريق عينيه الذى ذهب فور رؤيته لمعالم الغرفة.

غرفة لا تعدو كونها خزانة للأشياء القديمة أو مجلداً يحمل بين طياته ذكريات ماضٍ يود صاحبها ألا يتذكرها،،

لايوجد بين هذه الصور والأوراق سوى زي واحد فقط معلق على حامل للملابس يقف منتصبا بجوار أحد جدران الغرفة الذى إمتلأ نصفه بصور لأشخاص لا تضمها إطارات مثبتة عليه من خلال دبابيس متعددة الألوان، بعضها قد رسم عليها دوائر وفى قلبها رمز (X)، يصل بين هذه الصور خيط أحمر جعلها تظهر فى شكل شبكة متصلة الأركان،،،

بدأت عيناه فى الدخول إلى تفاصيل كل صورة إلى أن وصلت إلى تلك الصورة المميزة عن البقية، والتى تضم مجموعة من الأشخاص بدوا وكأنهم عائلة موضوعة في إطار فوق هذه الصو،، إرتعد (حاتم)

وكادت جفونه أن تتصل بحاجبيه، جحظت مقلتاه وكأنها تنوي الهروب من تجويفيهما،، تعثر (حاتم) فإصطدم بحامل الملابس الذي وقع على أرض الغرفة وغادره الرداء بعد وقوعه. زادت رعشته، وأوشك قلبه على التوقف،، حاول الزحف على ظهره بعيدا عن الرداء، مستخدما مرفقيه،، أوقفته خزانة الملابس التي انهت طريق زحفه وسقطت من فوقها لفافة عبارة عن مجموعة من الجرائد المهترئة،،

قفز قلبه مع إرتطامها بالأرض فوضع يده على صدره وكانه يطمأن على وجود قلبه فى مهجعه ...

نظر إلى اللفافة التي كادت أن تخلع قلبه بعد رؤية عنوان صحفي نقش بخط كبير وضعت بأسفله صوره ربما لا يعرف صاحبها، لكنه قد سمع أوصافه مسبقا فى حكايات (ليفا)، كانت صورة لأحد المتواجدين ضمن إطار الصورة وصاحب إحدى الصور الموشومة بالدائرة وتخللها رمز الشرطتان المتداخلتان ،، دقق في العنوان بإستغراب كاد أن يفتك بأوصاله

«ننعى بخالص الآسى رجل الأعمال إيزاك إيزيدور».

نهض مسرعا مستجمعا ماتبقى من قواه و نظر مجدداً إلى الملبس الذى أفزعه سترة طويلة من الخلف قصيرة من الأمام، صدرية سوداء وبنطال أسود، قميص أبيض تتخلله بقع دم ويشبه لبس الموسيقيين لكنه أكثر شبها بزي دراكيولا مصاص الدماء الشهير. تطلع جيدا إلى الصورة التى علم أنها تنتمى إلى (إيزاك).

هدأ قليلا بعد أن أيقن أن التهديد الذي يلحقه والذي أخبرته (ليفا) عنه، ماهو إلا وهم،، نظر مجددا إلى صورة العائلة التي أدهشته ثم فتح باب الغرفة ونادى بصوت عال نبه كل نزلاء الفندق: (إيزابلا) مكررها ثلاثا ،،إلى أن أجابته: - ماذا تريد سيدي ؟

– إصعدي في الحال.

إنتاب الخوف قلبها بعد أن صعدت إلى غرفته ولم تجده، زاد خوفها بعد ما سمعت ندائاته مجدداً وقد صدرت من أسفل الطابق الذى يقطنه فتوجهت إليه في بطئ شديد وكأنها تحسب خطواتها، ترسم الصليب على صدرها ثم تضع قلادتها التى كانت على شكل الصليب أيضا على عينها، ذهبت وكأنها تعرف وجهتها.

بالفعل كانت تعرف من أين يأتى الصوت،، رأته يقف فى غضب شديد يجئ ويذهب في الرواق، وقعت عيناه عليها فخفضت رأسها بعد أن لمح قدومها، هرول إليها وهو يلتفت حوله يمنة ويسرة، كانت قد فقدت السيطرة على أعصابها، جذبها من يدها سار أمامها صوب الغرفة وهى من خلفه توشك على الوقوع غير قادرة على مسايرة خطواته المسرعة...

توقف امام الباب وجذبها من يدها التي امسك بها إلى داخل الغرفة، أغلق الباب خلفه فأصدر صوتا جفت له دماؤها وغادرت الحمرة وجهها الذي كان مشربا بها دائما فأصبح شاحبا كالذي يبعد عنه الموت لحظات و يتحين اللحظة المناسبة للإنقضاض عليه ثم قال:- انظرى إلى تلك الصورة أعلى الجدار.

وقف بجانب الحائط واشار بيديه إليها فرفعت رأسها في بطئ واضح مغمضة العينين وكانها تعلم ما الذي ستقع عليه عيناها،، أصبحت الصورة بمحازاة رأسها، نطق (حاتم) قائلا: - ماذا تفعلين في هذه الصورة؟

لماذا تجاورين (ليفا) فيها؟ ولماذا اتوسط أنا تلك الصورة؟

ولماذا يجلس (إيزاك)على كرسي فى مقدمتنا؟ ومن تلك الفتاة على يمينه؟ من انتى ومن أنا ومن هذه الفتاة؟ ستخبرينني بالتأكيد عن

كل شي في هـذه الغرفـة وإلا فلـن اتـردد في إعـلام الشرطـة بأمـرك،، بـدت دمعـة في عينيهـا تضـم معانـى الحسرة والإنكسـار أمتصتهـا سريعـا بكتفهـا قبـل أن يراهـا (حاتـم)، ثـم اخـذت شـهيقا متقطعـا مـن فمهـا وأخرجتـه فى تقطـع واضـح و بللـت شـفتاها بلسـانها ثـم مسـحت واحـدة بالأخـرى وقالـت: - آن آوان إخبـارك بـكل شـئ.

- لمـاذا تتحدثـين بتلـك اللهجـة (إيزابـلا) لمـاذا أشـعر بـأن ثمـة أمـر سـيئ ،،آوان مـاذا ومالـذي سـوف تخبريننـى بـه؟ ومالـذى أقحمنـي في تلـك الصـورة وعـلى أي أسـاس ولجـت إلى تلـك الغرفـة..

سـكت (حاتـم) للحظـات قليلـة وكأن عقلـه أنعـم عليـه بذكـرى عندما أتـى عـلى ذكـر الغرفـة،،، هـز إصبعـه أمامـه فى علامـة لإسـتيعابه لشـئ و كـرر كلمـة الغرفـة ثانيـا ثـم قـال: هـل هـذه....؟

ولكنهـا لم تـترك لـه فرصـة إكـمال سـؤاله فقاطعتـه قائلـة: نعـم إنهـا الغرفـة الملعونـة غرفـة (٣٠٧)، بدايـة النهايـة يـا (حاتـم) الآن سـتخط بيـدك نهايتـك.

- مالذى تقولين؟ المصائر بيد رب الأكوان.

- بالطبع أعرف ولا أقصد الذي فهمه عقلك.

- ما الذي تقصدينه إذا ؟

- يجـب أن تعلـم أن بدخولـك هـذه الغرفـة باتـت نهايـة القصـة وشـيكة. يجـب أن تدخـل إلى الضبـاب لكـن تذكـر أمريـن، أن تعلـم أين سـتضع قدمـك لأنـه لـن يكـون الرجـوع سـهل هـذا أولا، ثـم صمتـت لثـوان..

- وما الأمر الثانى؟

هكـذا إسـتعجل (حاتـم) عودتهـا للحديـث فنظـرت إليـه بعينـين غائرتـين تنـمان عـن صعوبـة مـا سـئل: عليـك أن تتـلافى أى شـئ قـد يظهـر

لـك بداخلـه، حـدد وجهتـك ولا تلقـى بـالا لأي حـادث جانبـي، فأكـبر أعدائـك هـو الضبـاب والبقيـة تولـد مـن رحمـه.

– (إيزابلا) مالذي يحدث؟

– عليك أن تعدنى بشئ.

فـرد عليهـا قائـلا: – وما هـذا الشـئ ؟، قبل أن تقـول له: –عدنـى أولا.

– حسنا أعدك بهاتربدين .

فقالت: – أن تصدق ما سأخبرك به وألا تتعجب.

فأجابهـا: – ليـس بالأمـر الصعـب أنـا مجـبر عـلى تصديـق مـا أسـمع، فأنـا لا أعـرف شـئ.

– أعتقد أنك ستغير معتقدك هذا بعد أن تسمع ما أقول.

حـرك (حاتـم) رأسـه إلى الأمـام فى حركـة متكـررة معلنـا بهـا أنـه مسـتعد للسـماع، فقالـت: – تزوجـت (فاطمـة)، أتيـت بهـا إلى هنـا، ؛تحبـك(إليانـا)، (مقتـل إسـكندر)،إختطاف (ليفـا)، دخولـك مافيـا السـلاح باريـس، فقدانـك ذاكرتـك بإرادتـك .

قاطعها قائلا : لكنني أعلم كل هذا.

تبسـمت (إيزابـلا) فى تهكـم وكأنهـا فقـط أطبقـت عـلى شـفتيها قائلة: – كل هـذا محـض أكاذيـب . ولكـن بالطبـع ليسـت كلهـا أكاذيـب يـا (حاتـم) وإنـما الكثـير منهـا، ربـما كانـت الحقيقـة شـئ واحـد مـن بـين كل ذلـك الزيـف. رفـع (حاتـم) حاجبيـه فى دهشـة سـطرت صفحـة وجهه، إتسـعت عينـاه و نـدت منهـا عـبرة جـرت ووراءهـا سـيل مـن دمـوع التحسر عـلى حالـه، قـال بصـوت تخللتـه حشرجـة صـدره وكأن روحـه تريـد الخـروج مـن جسـده بـدلا مـن الغـوص في أعـماق تلـك المتاهـة: – هـل كذبـت (ليفـا) في كل شـئ قالتـه؟ لمـاذا؟.

شعر بدوار للحظات فاتكأ على طرف السرير الممدد فى وسط الغرفة منتظرًا زوال آثار هذا الدوار وقال:

- (إيزابلا) هل أنا(حاتم) أم أن هذه أكذوبة من أكاذيب (ليفا)؟

- (حاتم) لا تلقى باللوم كاملا عليها، فهى ما تحملت أن تكذب عليك إلا لتنجيك من مهلك أكبر فى النهاية، مارست حقها كزوجة و أدت واجبها كامرأة تخشى من إنهيار بيتها.

جفف (حاتم) دموعه بظهر كفه و إبتلع ريقه وجذب ياقته إلى الأمام، وقف منتصبا كعارض أزياء ضوت وسامته المكان، للمرة الثانية لم يشرد (حاتم) بعد سماعه أمرا غريبا.

- مالذى يجعلني أصدق ماتقولين ؟

إخترقت هذه العبارة آذان (إيزابلا) فإبتسمت بثقة كالذي أوشك على الهزيمة لكنه متيقن من فوزه، وظلت مكانها لم تحرك ساكنا وكأنها كانت فى إنتظار سماع سؤاله، ثم أجابته قائلة:- كنت أعلم جيدا أنك ستستفسر عن ذلك، ولهذا أعددت لك جوابا مناسبا،،

أحنى رأسه إلى الخلف وأمسك ذقنه بيده ثم أعادها إلى الأمام فى محاولة منه لفهم ذلك الجمود الذي إتسمت به تلك المرأة فى مثل هذا الموقف، ثم نطقت قائلة:- عليك أن تعرف الجواب منها، وحدها القادرة على إقناعك، أليس كذلك يا سيد (حاتم)

تحشرشت الكلمات في حلقه فأبت أن تخرج فى تناسق:

- ممن تتتقصدين؟ ثم أتبعها من تقصدين؟

- (ليفا)، أقصد (ليفا) زوجتك،هى من وضعتك فى هذه الحالة وهى القادرة على إخراجك منها.

لم تكن الدهشة التي ظهرت على وجه (حاتم) بعد سماعه ما قالته بغريبة، فوجهه قد صار يتقن تلك الملامح للحد الذى جعلها تبدو المظهر الطبيعى الذي يظهر عليه وجهه، فقال:- (ليفا) المسؤولة عن فقدانى ذاكرتى! هى من أدخلتنى إلى تلك المتاهة! هز رأسه مستنكرا قبل أن يتخلل آذانه صوت نسائي يختلف عن صوت إيزابلا بعبارة

«وهل تعجز طبيبة حاصلة على العديد من الجوائز فى مجال فقدان وإسترجاع الذاكرة عن فعل هذا لأحد المقربين منها والذى طالما كن لها الكثير من المشاعر؟ لو كنت مكانها لفعلت مثلها ، هل سأفوت فرصة أن أحظى بفأر تجاربي الخاص «. إلتفت (حاتم) إلى صاحبة العبارة ووجهه يحترق من شدة الغضب ، إتجه نحوها وأمسكها من ذراعيها وكأنه يختبر مدى تحملها لقوة قبضته وقال: - من أنت؟

- لست سوى (إليانا) شقيقتها.

إتسعت عينا (حاتم) فى ذهول، ونظر إلى الصورة المعلقة على الحائط ثم عاود النظر إليها مجددا، هى تلك الفتاة التى تسائل عنها منذ دقائق . قال لها : لماذا أنا ؟ لماذا تفعلون معى هذا؟

- أرح عقلك قليلا، وفى المساء ستعلم كل شئ، لا تتعجل الحقيقة فربما وأنت تفعل ذلك تفقد لذة الإستمتاع بظهورها.

همت بالمغادرة فسألها:- إلى أين أنت ذاهبة؟ لن أتركك تغادرين هكذا دون أن أفهم شئ الأفضل أن تخبرينى وإلا ..

قاطعته (إليانا) قائلة: وإلا ماذا يا زوج شقيقتى؟ ليس هناك من خيار متاح،عليك الإنتظار و سأترك معك (إيزابلا) أو والدة (ليفا)، أدعوها كيفما شئت علها تنجح فى إخبارك بشئ ،، ثم غادرت تاركة إياه يعانى صعوبة في إلتقاط أنفاسه ونظر إلى (إيزابلا) قائلا وهو يشير بإصبعه نحو المكان الذي

غـادرت منـه إليانـا:- مـا لـذى قصدتـه بـأم (ليفـا) هـل أنتـى .....؟

- نعـم أنـا زوجـة (إيـزاك) الأولى وأم زوجتـك، إجلـس يـا (حاتـم) سـأقص عليـك الآن كل شـئ مـن البدايـة ولا تقاطعنـى حتـى لـو لم تسـتوعب.

- بالطبع لقد ورثت عادة السيطرة على الحوار من أمها.

بهـذه الكلـمات تمتمـت شـفاهه قبـل أن يمعـن فى الصمـت منتظـرا إسترسـالها فى الحديـث الـذي تتطلـب معرفتـه طويـلا..

- بعـد أن تـم قبولـك للعمـل فى شركـة (إيـزاك)، وتمكنـت مـن الترقـى متغلبـا عـلى الكثـير مـن أقرانـك فى مجـال البرمجـة، أصبـح إعتـماد (إيـزاك) عليـك يـزداد مـع الوقـت وصـار يصطحبـك في كثـير مـن المناسـبات الخاصـة بمجـال عمـل المؤسسـة لتتحـدث أنـت بلسـان الشركـة، وفى أحـد الأيـام قـررت أكـبر المراكـز الصحيـة فى مجـال جراحـة المـخ والأعصـاب توقيـع برتوكـول تعـاون بـين الشركـة والمركـز هنـاك حيـث قابلـت (ليفـا) للمـرة الأولى، وبعـد أن رأيتهـا هنـاك أصريـت أن تقـوم أنـت بمهمـة تطويـر برمجيـات ذلـك المركـز الأمـر الـذى لفـت إنتبـاه إيـزاك، ووصفـه بسـوء إختيـار لأنـك قـد أتممـت الكثـير مـن الأمـور التـي تعـد أصعـب مـن تطويـر أجهـزة المركـز لكنـه لم يشـأ أن يخسرك فوافـق عـلى طلبـك، و لطالمـا قصـت ليفـا عـلى مسـامعي ذكرياتكـما سـويا وكيـف وافقـت عـلى حبـك. دائما مـا كانـت تقـول هـل تعلمـين يـا أمـى أنـه يحبنـي كثـيرا، لقـد طلـب منـي الـزواج مبـاشرة وأنـه لايطيـق إنتظـار الدخـول فى علاقـة قبـل الـزواج، أحببـت شـجاعته في تصريحـه المبـاشر فهـو يرمقنـي بنظراتـه ويدافـع عنـي بعينيـه إذا أراد أحـد زملائـي الحديـث عنـي ،، مـا أجمـل غيرتـه الشرقيـة تلـك،، كان لا يسـتطيع البـوح بذلـك وبعـد أن عـرض عـلى الـزواج قـال لا أطيـق أن ترمقـك عـين أحدهـم لـذا أريـد أن

تصبحي زوجتي حتى يعلم الجميع أنك صرتي ملكتي ،، بالتأكيد سألتها عنك، إسمك ومن أين أنت، لكن لم يشغلني أنك لست بولنديا قدر إنشغالي بأنك أحد رجال والدها... فرد عليها قائلا: - وما العيب فى ذلك، لقد كنت مقرب منه وأعتقد أنه كان سيسعد لمثل هذا..

أجابته قائلة: - نعم أنت مقرب منه أما نحن فلسنا مقربين منه .

- ماذا تقصدين؟؟
- تكمن المشاكل ، سيد (حاتم) قلت لك اتركنى أتابع.
- أعتذر من فضلك إستمري .
- قلت لها هل يعلم أنك إبنته فأجابتنى نافية معرفتك بهذا الأمر، فطلبت منها تجاهلك ونسيان هذا الموضوع حتى لا تتفاقم الأمور محدثة جلبة نحن فى غنى عنها، لكن كانت كل محاولاتي لإقناعها فاشلة، كان حبك قد سرق قلبها وتربعت أنت على عرشه، طلبت منها مقابلة والديها حتى تحدثهما بشأنكما الأمر الذى جعلها تستفيق من أحلام يقظتها،، كانت توهم نفسها بأن مثل هذا لن يحدث، فلم تجد بد من الكذب عليك وقول بأن والدها قد مات،، حذرتها بأن الكذبة لن تدوم طويلا وأنها وحدها من ستعاني عواقبها، لكنها أبت إلا أن تكسبك حتى لو كلفها الأمر حياتها...

نظر (حاتم) إليها فى إهتمام واضح ثم وجه إليها سؤالا مباشرا:- كيف تزوجنا إذا؟

فى القصر

توقفت السيارة أمام باب القصر وإنتظرت إليانا بعادتها المتعجرفة أن يفتح السائق بابها ترجلت من السيارة، خلعت نظارتها التى تحمي عينيها من حر الشمس وتضفي عليها لمسة أناقة دائما ما أحبتها،، خرجت لها فتاة تلبس قميصا أبيض وتنورة سوداء بوجه صغير مستدير وأنف مدبب متوسط الطول ترجع شعرها إلى الخلف وقد عقدته بإحدى ممسكات الشعر وكان مفروقا من المنتصف، وعلامات الذعر قد إعتلت وجهها المتجهم،، وكان وجهها التى أكسبته الشمس سمرة تتراقص على سحرها القلوب يضم عينين خضراوين لم تجفان من الدمع،، قالت لها (إليانا): - لماذا تبكى سوريشا؟ هل إشتقتي للعودة إلى الهند موطنك الأصلي؟ حاولت التخفيف عنها، فكانت (إليانا) تعلم لماذا تحولت ملامحها السعيدة إلى هذا الوجه المكتئب الذي ظل شاهدا على عذاب (ليفا) اليومي .

- أنتى تعلمين سيدتى لما هذا الحزن، لقد تحملت شقيقتك ما تعجز الرجال.

تبسمت إبتسامة أخفت ورائها آلام عذاب شقيقتها، ثم قالت: - هونى عليك ستعلمين حينما تصيبك لعنات العشق القاتلة.... أين هى الآن؟

- بالطبع ستجيدينها مكانها .

توجهت (إليانا) نحو الباب الذي تقبع خلفه (ليفا) فتحت الباب فى حذر، تخشي رؤية الحال التى صارت عليه أختها، فتحت عيناها ببطئ وهى مازالت ممسكة بالباب إلى أن إستقر بصرها على (ليفا)، هرولت إليها متخلية عن حذرها بعدما وجدتها طريحة الأرض خارت قواها من آثار ما تلقته من تعذيب،، فكت وثاق يدها المعقودة خلف ظهرها ورفعت رأسها من على الأرض،، وكانت (سوريشا) قد جائت تجري خلف (إليانا) حاملة الماء والطعام،أخذت تهذب شعر (ليفا)، أرجعته إلى الخلف، صبت بعض الماء على يديها ثم نثرته على وجهها لجعلها تستفيق، نظرت بعين قد إكتظت بالدموع عن آخرها واخذت تتصفح وجهها الذي صار يصعب التعرف عليه من آثار الضرب،،

– (إليانا) لماذا قدمتى الآن؟

بصوت غلبه التعب خرجت تلك العبارة من فم ليفا،، أخذت قطعة اللحم التي أحضرتها مدبرة المنزل قطعتها إلى قطع صغيرة ثم أمسكت إحداهن و طلبت من (ليفا) أن تفتح فمها لتطعمها فدفعت يدها فى قوة لا أعلم من أين أتت بها فى ظل حالتها تلك وقالت: – طمأنينى أولاً إلى متى ستستمرين فى هذه المعاناة هل تأملين شفائه؟

– صرخت (ليفا) مقاطعة شقيقتها لا تنعتيه بالمريض

– صدقتي فما فعله تجاهك لايناسب أفعال شخص مريض.. بل شخص فقد عقله تماما ستتحملين هذا العذاب إلى متى؟

حتى وإن كانت صلة القرابة قوية لا تستدعي كل تلك التنازلات

فأجابتها قائلة:– سأتحمل حتى تفارقني أو تفارقه الحياه، ثم تابعت:– لا لا لن أتحمل ان يرحل عنى سأرحل خلفه.

ثم قالت: طمأنيني رجاء هل قلتي له ما أخبرتك إياه؟

– لقد أخبرته تماما ما قلتيه لى.

نطقت الخادمة قائلة بصوت مرتبك: – سيدة (إليانا) المساء قد إقترب ولا أنصحك بالبقاء .

– لا تخافى (سوريشا) لن يأتى اليوم.

– ما الذى تقولينه (إليانا) هل حدث شيئ ل؟

– أهدأي يا (ليفا) سيأخذ مهدئ هذه الليلة، لقد أخبرت (إيزابلا) أن تعطيه إياه ولن يقوى على القدوم إلى هنا.

– ماذا فعلتي به ؟ أنتى تعلمين خطورة هذا الأمر عليه وخاصة ذاكرته.

فسألتها مستنكرة ما تتحدث بشأنه أى ذاكرة تقصدين هل تستخفين بى أم بنفسك فكلنا يعلم أنه لم يعد يتذكر شيئ ..

– الأمور ستتحسن شقيقتى أنا أؤمن بهذا.

– لاشيئ يتحسن (ليفا)، بل نحن من نعتاد سوءها،

و(حاتم) لن يعود كما كان، بل يزداد الأمر تدهورا وأنتي تنتظرين عودته وتغفلين تماما أن لجسدك وقلبك عليك حق،، وهو قد تمادى فى تعذيبه إياك.

دموع تنهمر كينبوع ماء تفجر من بين صخر فى واد قاحل يجري في تشققاته الماء لكن لاطائل من وراءه ، كان هذا هو حال (ليفا) التى إمتنعت عن الكلام لكنها لم تتوقف عن البكاء وكأن حديث أختها قد لامس حقيقة بداخلها، كانت تخشى أن تصدق وجودها ثم شق صوتها هيبة ذاك الصمت قائلة:

- أعلم أنه لن يعود كما كان لكننا لن نصارحه بهذه الحقيقة لن نخبره بأنه يعانى مرضا نفسيا فقد يبتعد عني بعد أن يكتشف ماقد حل بي و أنه السبب وراءه، خوفا من أن يلحق بى المزيد،، ثم وقفت أمام (إليانا)،

جثت على ركبتيها وأحنت رأسها إلى أسفل وقالت فى صوت خنقته العبرات و بنبرة توسل وكأن شحاذا يترجى بضع أرغفة يسكت بها آلام معدته:

- لن أقوى على رحيله، إن أردتي رؤيتي على قيد الحياة عليك ألا تخبريه شيئا .

إنتفض جسد (اليانا) فى دهشة غريبة و جثت هى الأخرى على ركبتيها وقامت برفع رأس (ليفا) وأشارت بإصبعها فى تحذير واضح لشقيقتها وقالت وقد إغرورقت عيناها بدموع الشفقة على حال أختها:

- يجب عليكي ألا تفعلي هذا مرة أخرى ،، ثم قامت بمعانقتها وقالت: - أعدك أختي أني سأفعل بقدر إستطاعتى كل شئ قد يسهم في عودة زوجك كسابق عهده.

المصارحة

- (إيزابلا) ألم تعلم (ليفا) أنى سأكتشف حقيقة والدها؟؟
- لذلك صارحتك لكنك أبديت رد فعل غير متوقع، لقد غضبت غضبا جما وكأنها أخبرتك بموت قريب أوعزيز.
- بالطبع سأغضب لكذبها علي، أعتقد أن ردي هذا كان متوقعا وليس العكس ، إلا إذا ...

ثم تبعها بصمت انهاه جواب (إيزابلا):

- إذا كان غضبك على شئ بخلاف كذبها عليك.

أومأ برأسه قائلا:- أعتقد أنها اتقنت شيئا واحد وهو الإستمرار في كذبها علي.

نظرت إليه (إيزابلا) وقد تمكن الغضب منها لما تفوه به ثم قالت: - إذا أردت أن تبحث عن الملائكة فاصعد إلي السماء، لا يوجد ملائكة علي الأرض بل يوجد أناس تصيب وتخطئ.

- إذن ما الذي يجعلها تستمر فى إختلاق كل ذلك؟
- سأخبرك،، الحب هو الشئ الوحيد الذى أبقى على شجاعتها فى مواجهة ذاك المصير الملبد بالغيوم معك.

فرد عليها :- لا تغضبي يا أمي فأنا مشتت الافكار ولا أتذكر شئ مما تقولين.

- أمى ! أشك انك لا تتذكر...

- لما تقولين هذا؟

- هـذه الكلمـة، لطالمـا ناديتنـي بهـا،، عـلى كل سـأكمل لـك ماتبقـي، حاولـت (ليفـا) أن تـشرح السـبب وراء إخفائهـا لحقيقـة أبيهـا، لكنـك فاجأتهـا أن سـبب غضبـك هـو إكتشـافك أن والدهـا ليـس سـوى رأس مـن رؤوس مافيـا السـلاح ..

- هل يعنى هذا أنها لم تكذب علي بهذا الشأن؟

- أخبرتـك أن ليـس كل مـا قالتـه أكاذيـب،،، لم تندهـش (ليفـا) ممـا قلته، فهـذا كان سـبب بقائهـا بعيـدة عنـه،، طلبـت منهـا رؤيتـك، أحببتـك كإبـن لي منـذ الوهلـة الأولى ، أقتربـت منـى للحـد الـذى جعلـك تناديني بأمـي،،، حاولـت إنهـاء عملـك مـع (إيـزاك) بعـد الإنتهـاء مـن مهمـة المركـز الصحـى، لكـن كانـت الأخبـار قـد تسربـت إلى (إيـزاك) بأنـك عـلى علـم بنشـاطاته الأخـرى وهنـا لم يكـن أمامـه سـوى خيـار التخلـص منـك، وفي الليلـة التـي إنتـوى فعـل هـذا بعـث رجالـه لينجـزوا تلـك المهمـة ويغتالـوك فى منزلـك، رأى أحدهم (ليفـا) معـك تلـك الليلـة ممـا جعلـه يرسـل إليـه رسـالة ويخبره بهـذا الأمـر فطلـب منهـم التوقـف والعـودة دون فعـل شـئ، وكأن (ليفـا) كانـت مـلاكك الحـارس في تلـك الليلـة، فبالرغـم مـن بعدهـا عنـه إلا إنهـا كانـت المفضلـة لـه دائـما، وكانـا دائـما مثـالا حـي للعلاقـة التـي تربـط الاب بإبنتـه، إلى أن كشـفت (ليفـا) حقيقـة والدهـا بعـد أن تـرك حاسـبه الإليكترونـى مفتوحـا، ورأت الرسـالة المبعوثـة مـن قبـل جماعـة السـلاح الروسـية، فواجهـت أبيهـا بتلـك الحقيقـة،،

لكنـه ظـن أننـى من أخبرهـا لعلمـي بهـذا الأمـر مسـبقا. أردت أن آخذ إبنتـاى معـي وأهـرب بعيـدا عنـه، وخاصـة أنـى قـد قمـت بتربيـة الفتاتـين بعـد رحيـل أم (إليانـا)، لكنـه حرمنـى مـن (إليانـا) وتـرك لي (ليفـا).

كان قد تزوجني بعد وفاة زوجته الأولى بفترة وجيزة،

كان يبحث عن مربية لإبنته فتزوج بمديرة مكتبه، كنت على علاقة غير شرعية حملت على إثرها بـ(ليفا)، وتزامنت بدايات حملي مع السبعة أشهر الاولى للزواج، وافقت على الزواج حتى يتسنى لإبنتي أن تنشأ داخل حياة أسرية طبيعية ولم يكتشف أحد الامر بإعتبار أني ولدت فى شهري السابع وليس التاسع.

وقمت بإسكات الطبيبة وطلبت منها ألا تخبر (إيزاك)،

حتى (ليفا) لم تعلم انها إبنة (إيزاك) لا أحد يعلم هذا سوانا و بعد أن علم (إيزاك) بعلاقتك بـ(ليفا) بدأ يذيقني ألوان العذاب كافة، معتقداً أني أريد إبعادك كما أبعدت (ليفا)، وأنى أيضا قد أخبرتك بحقيقته، لكنه لن يستطع قتلي لعلمه أن (ليفا) لن تتحمل فراقي، لذا بدأ فى تعذيبي، يريني الموت لكن لا أتحصل عليه،

أتمناه يوما بعد يوم، الأمر الذى لم تتحمله أنت وأخذت تفكر كيف تتخلص منه وتنجيني من ويلات ذلك الألم فقررت أن تقتله، لكن القدر أنجاك من هذا، ربما لأجل (ليفا) ومات (إيزاك) فى حادث بسيارته...

و بقيت آثار تعذيبه لى مما جعلني لا أقوى على الوقوف على أقدامى لفترة تجاوزت الستة أشهر، لكن كنت أنت من عانيت منها وليس أنا فلقد أصبت أنت فيها بإنفصام فى الشخصية جعلك تعيش روح (إيزاك)،، وتنظر لـ(ليفا) على أنها أنا وأصبحت تفعل بها مافعله (إيزاك) بي، والسبب فى هذا كما وضح معالجك النفسي، أنك قد عانيت فقدان والديك مما أحدث عندك مشكلة نفسية، وصرت تتخذ مواقفا عدائية تجاه حالات إضطهاد الأباء، حتى وصل الأمر لي وصار ما صار ..

- لحظة واحدة هل تقصدين أنى أعذب (ليفا) !! هل تعني أني تسببت في ألم لها،، هذا مستحيل ، بالتأكيد تكذبين .

- لا أكذب،، فأنت ترتدي هذا الزى،، وأشارت إلى الرداء الملقى على الارض والذى كان معلقا إلى الحامل،،، وتذهب إلى القصر بعد منتصف الليل تعزف على البيانو وتشرع فى عمليات التعذيب خاصتك لـ(ليفا)، وقمت بوضع صورة لي فى القصر معتقدا بأني قد قُتلت ومتهما إياها بقتلي، بل فى الحقيقة إتهمت كل من أعرفهم بقتلي، وقمت بتعليق صورهم على هذا الجدار، حتى أنك إعتقدت أنك قتلت (إيزاك)،

حاولت معك بكافة طرق العلاج لكنها فشلت جميعا إلى أن توصلت هي إلى حل...

- حل ماذا ؟

- فى المركز التي عملت به كان هناك بحث طبى مقدم من أحد زملائها فى العمل يفيد بأنه من الممكن محو أجزاء من ذاكرة أي شخص لكن لم يتم إختباره بعد، ولم يكن أمامها سوى ان تختبره معك،،

لم تتحمل المعاناة التى تعيشها، تشاهدك فى شخصين مغايرين تماما لبعضهما، ولم تكن بالجرأة الكافية لتواجه معاناة زوجها الذي تشاهد تدهور حاله يوما تلو الآخر، وعندما وجهناك بحقيقة أمرك تحمست في بادئ الأمر للعلاج، لكن لم يكن هناك أى عائد إيجابى،

لم تكن تجرأ على خطوة محو الذاكرة إلا بموافقتك وحينها لم تعارض الأمر مطلقا، لكن (ليفا) عادت و رفضت الفكرة مرة أخرى لأنها لم تجرب بعد وكان عليها أن تنتظر حتى يتم إجراء إختبار مبدئي، لكن بعد إدعائك مقتل إيزاك، لم تتحمل أن تحمل ذنبا ليس لك يد فيه، فوافقت وتم الأمر ، لكن ....

قاطعهـا (حاتـم) قائـلاً: لا تكمـلى أعلـم البقيـة،، تنفـس (حاتـم) ونهـض مـن مجلسـه ،أخـذ الـرداء مـن عـلى الأرض، نظـر إلى (إيزابـلا) ثـم أشـار إلى بقـع الـدم المتناثـرة عليـه قائـلا: هـل هـذه لـ(ليفـا)؟

أومـأت برأسـها أن نعـم،، قـال: - ومـا شـأن (فاطمـة) وباريـس واسـكندر ورجـل الحافلـة.

فأجابته: - بداية أنت لم تكن على متن الطائرة القادمة من باريس.

رمى (حاتم) الرداء من يده امسك بإيزابلا في عنف قائلا:

- لقـد وجـدت نفـسي أهبـط مـن درج الطائـرة، ثـم تخبريننـى أنـى لم أكن عـلى متنهـا، أعتقـد انـك كذبتـي فى كل شـئ مـضى ،، هـل تحاولـين خداعـي؟؟؟

ردت عليـه قائلـة:- هـل تتذكـر اى شـئ فى الطائـرة؟ عـن رحلتـك أوعـن تحليقـك فى السـماء؟

خرجـت تلـك الكلـمات كسـهام وجـدت ضالتهـا فى لسـان (حاتـم) فأسـكتته.

ترك حاتم يدها ثم سألها مستفهما: ماذا تقصدين؟

قالت: عندما فشلت الجرعة الاولى فى معالجة الأمر..

معالجـة ثـم سـألها وقـد إلتهـم التشـوش عقلـه:- مـاذا؟ بـأى شـئ كان سـينفعنى محـو ذاكرتـى؟

- بالطبـع كنـا نريـد محـو أجـزاء معينـة وهـى مـا قبـل مقابلتـك (ليفـا) ومقتـل (إيـزاك)، لكـن الأمـر لم ينجـح، ومحـى الكثـير و كانـت آخرهـا عنـد تواجـدك بمـصر،،،

فقررنا إعطائك الثانية وإختلاق مشهد الطائرة بالإتفاق مع إدارة المطار، و(فاطمة) كانت إحدى أعراض الدواء فهو صنع العديد من الهلاوس منها مشهد (فاطمة) ،

لطم (حاتم) رأسه ببطن كفه فى إعلان واضح لصعوبة تقبله الأمر، لكنه ظل يستمع دون مقاطعة، فتابعت حديثها قائلة:- فكان لابد أن نعمد إفتعال حادث آخر حتى نزيح تلك الرؤى وكان مشهد إنقلاب الحافلة وما إن عدت إلى (إسكندر) ..

تمتم (حاتم) قائلا بسخرية: هل يعني هذا أن الرجل الذى مات؟ فقاطعته قائلة:- إنه أحد رجالنا وهولم يمت ..

فسألها قائلا: - (إسكندر)، ما شأنه هو الآخر؟

- إنه أحد الرجال اللذين إتفقت معهم (ليفا) وبالمناسبة إنه على قيد الحياة.
- بالطبع لن أستغرب وجوده فهو لم يكن الكذبة الكبرى فى ظل هذه الأكاذيب.

ربتت (إيزابلا) على كتفه قائلة:- لا شيء يمرّ عبثا، حتى تعثراتك الصغيرة كانت لأجل أن تعرف شيئًا ما، لأجل أن تعي، لأجل أن يتسّع أفقك.

أبعد يدها عنه وابتعد عنها خطوات و إلتقط الزى مرة أخرى، نفض عنه الغبار ثم قال: - لقد ضاق أفقي حتى صار لايستوعب شيئا من هذا .

- الآن ماذا ستفعل ؟
- القادم أنا من سيحدده (إيزابلا) وليس أحد آخر، عليكى أن تغادري الآن ولا تخبري أحد بشأن ماقلناه، فلن تهنأِ بسماع أن

(لـيفا) علمـت أن لهـا والـد آخـر، فأنـا لـن أسـأل عنـه، وعليكـى ألا تتفوهـى بشـئ،، ذهبـت تجـاه البـاب فى صمـت وكأن عـلى رأسـها الطـير.

هتف (حاتم) مناديا: - إيزابلا.

إرتعدت وكأن ملك الموت هو من ناداها..

- سـؤال أشـك فى كونـه الآخـير، لكـن لا أعتقـد أن مـن أغدقـت ولدهـا كل ذلـك الحنـان التـى أشرتـى إليـه سـتضن عليـه بإجابـة سـؤاله،، إلتفتـت إليـه، فقـال: وعينـاه تجوبـان كل ركـن مـن الغرفـه وكأنـه يتعـرف عـلى حدودهـا: مـا شـأن هـذه الحجـرة؟

- تلـك هـي الغرفـة التـى كنـت تقطنهـا وقـت عملـك فى (إيزيـدور)، وبعـد أن حـدث مـا حـدث لم يسـتطع أحـد أن يعلـم أيـن تضـع مفتاحهـا فأنـت ذاتـك كنـت لا تعلـم مكانـه.

نظـر إليهـا بعينـين تنـم عـن التهكـم الواضـح، فأجابـت نظراتـه قائلـة:- كنـت تخبئـه بشـخصية (إيـزاك) ولا تعثـر عليـه سـوي بشـخصيته هـو فقـط، كنـا نعلـم مـدى خطـورة هـذه الغرفـة لأننـا شـاهدنا شـخصا غـير الـذى نعرفـه يخـرج منهـا وعندمـا راقبنـاك وعلمنـا أيـن تخبئـه رفضت (ليفـا) أن نأخـذه منـك كـى لا تـزداد الأمـور سـوءا عندمـا تتحـول، فأبقينـا كل شـئ عـلى حالـه لكنهـا ظلـت تحـذرك وتذكـرك بأشـياء عنـد تبديـل الأدوار،، علـك تتذكـر بطريقـة غـير مبـاشرة، حتـى لا تحـدث لـك نوعـا مـن الصدمـات خاصـة بعـد فقـدان ذاكرتـك، وبالتحديـد بعـد أن إسـتمر مفعـول الجرعـة الثانيـة مـن الـدواء إلى الآن ولانعلـم إلى أى مدى ستسـتمر، هـى تنتظـر كل هـذا مـن أجـل عودتـك إلى شـخصك القديـم طالمـا أن تلـك الـروح لـن تفارقـك فنظراتـك إليهـا بأنهـا شـخص غـير معـروف لـك تقتلهـا وحديثـك عـن (فاطمـة) يطعـن قلبهـا..

هتف (حاتم) بعد أن تذكر شيئا: - وما شأن المنديل

إبتسمت إبتسامة خفيفة ثم قالت:لعب القدر دوره وكانت ردة فعل مميزة من إسكندر فهو اعطاك منديله وكان لأحد الشركات الصغيرة فى إنتاج هذه المناديل والتى حملت إسم(**H. F**)

فقال (حاتم) وقد إعتلى الهدوء محياه: - أحيانا يأبى القدر فعل ما نريد هل بإمكانك أن تساعدينى فى التحول لهذه الشخصية.

- ما الذى تنوى فعله ؟
- إذا أردتى مساعدتى فافعلي وإلا فلا، ولا تنسي أن تحافظي على هذا الأمر سرا..
- بالطبع يابني، فقط إنظر لتلك الصورة أمامك هذه هي الأقرب للهيئة التى تكون عليها عندما ترتدي هذا الزي، ولا تنسى أن تضع من العطر الخاص به لا أعلم أين تضعه لكنه بالتاكيد موجود هنا.
- شكرا لك، الآن غادري وسأتكفل بالبقية .

صعد (حاتم) إلى غرفته بالأعلى فتح خزانة ملابسه أتى بقميص جديد غير الذي طبعت عليه بقع دم (ليفا).

هبط مرة أخرى إلى أسفل في سرعة كبيرة حتى أنه ترك باب الغرفة مفتوح خلفه، شعر بدوار شديد وهو يهبط الدرج أمسك رأسه للحظات لكنه إستمر فى النزول متجاهلا هذا الدوار، وقف مجددا إرتكن إلى الجدار لثوان، حاول إكمال النزول إلى الغرفة لكن بدأت الرؤية فى الغياب تدريجيا إلى أن تعثر فى درج السلم وغاب عن الوعى. بعد ساعات أفاق (حاتم) وجد نفسه ممدد على السرير فى الغرفة (٣٠٧) نظر إلى الساعة فى يده فوجدها توشك على الإقتراب من الثانية عشر بعد منتصف الليل، نهض مفزوعا من السرير فأعاده الم رأسه، وأمسكت به إيزابلا خشية وقوعه ثم قالت على رسلك

يـا (حاتـم) إهـدأ قليـلا، هـى مازالـت بالقـصر، عليـك إسـتجماع قـواك، وأبـشر فـإن مفعـول الـدواء يذهـب.

تداخـل حاجبـى (حاتـم) وأغلـق عينيـه قليـلا فى علامـة منه لإسـتعصاء فهـم الأمر.

– نسـيت أن اخـبرك، لقـد تلقيـت جرعتـك الثالثـة فى المشـفى عنـد سـقوطك فى الحديقـة.

– نعم اتذكر حدوث هذا الأمر مسبقا.

لكـن لمـا لم تمحـو الجرعـة الثانيـة آثـار ذاكـرة تواجـدي فى (وارسـو) الأيـام الماضيـة.

– قلـت لـك أنـك أول مـن جـرب هـذا الـدواء، وبالتأكيـد لا نعلـم كافـة آثاره.

نهـض مـن مكانـه، وإتـكأ عـلى (إيزابـلا) ثـم وقـف وهـو ينظـر إلى الملابـس التـى يرتديهـا.

– لا تتعجـب لقـد تكفلـت بتحويلـك لشـخص (إيـزاك) حتـى إننـي لم أنسـى تمشـيط شـعرك ولقـد وجـدت عطـر إيـزاك، هيـا أسرع.

وضـع (حاتـم) زخـات العطـر ثـم إتجـه إلى الخـارج، إلتفـت إليهـا مـرة اخـرى قائـلا: – أشـكرك إيزابـلا.

بعـد أن بـدأت الذاكـرة فى العـودة مـع زوال مفعـول الـدواء لم يكـن يحتـاج إلى مـن يدلـه عـلى عنـوان القـصر.

توقـف (حاتـم) بسـيارة الفنـدق الخاصـة أمـام القـصر، فمـع عـودة الذاكـرة عـادت إليـه قدرتـه عـلى قيـادة السـيارات .

توقف ملياً امام باب القصر لم يكن يمعن النظر فى بهائه، بل ترك الأمر للذاكرة لتتكفل بعودة تفاصيل القصر إلى رأسه، لكنه خشي أن تباغته روح (إيزاك) ويبدأ فى جرح زوجته.

دلف إلى الداخل فانطلقت (سوريشا) نحوه فى فزع قائلة:

– مرحبا بك سيدي، سأحضر مشروبك الآن، ثم ذهبت .

توجه صوب الباب و ضربات قلبه تتسارع، قرأ بعض آيات القرآن فى محاولة منه ليثبت فؤاده، فتح الباب فسرى فى أوصاله رعب شديد،

إختنقت العبارات بداخله فلم يقوى على الحديث بعد أن رآها تنظر فى الأرض متأهبة لما يحدث.

أتت (سوريشا) بالمشروب فأشار إليها ان ترحل قائلا:

– لا أتعاطى مثل هذه المشروبات إرحلى الآن من فضلك،

رحلت وقد جلت علامات الدهشة على وجهها.

إنطلق نحو (ليفا) فى خطوات ثابتة ، وقف أمامها أحنى جسده نحوها و أمسك بكتفيها فسرت رعشة بجسدها أحست بها يده فأبعد يده فى حركة لا إرادية إستجابة لخوفها، ثم أعادها مرة أخرى، وهو لايتلفظ بأى كلمة،،

صمت تكاد تسمع خلاله أنفاسهما المتعاتبة...

– لماذا فعلت هذا معى،، ولماذا تسببتِ لي فى كل هذا.

اوقفها حتى إنتصبت و رفع رأسها فى مواجهته هذب شعرها المتناثرة خصلاته على وجهها.

نظرت إليه فلم يستطع منع الدموع أن تتساقط من عينيه، نظر إليها فى إشفاق إنتهى ببكائها هى الأخرى، فقام بهز رأسه بصورة

بطيئة متكررة ثم نطق قائلا: - نعم أنا (حاتم)،، لما كل هذا يا (ليفا).

فإرتفع صوت بكائها ثم إرتمت بجسدها بأكمله فى صدره.

وبعد أن هدأت أخبرها بأنه عرف كل شئ وقد إنتهت جرعة دوائه اليوم وسيبحث معها عن علاج آخر.

فقالت: - لا يهمني سوى كونك بجانبى لا أريد شيئا آخر.

فقاطعها قائلا:- لكن والدتك أخبرتنى بأنى أتحول بعد منتصف الليل، فلماذا لم أتحول؟؟

فأجابته قائلة: - اليوم الذى ينتهي فيه مفعول الدواء لاتصير فيه (إيزاك)، وعليك أن تترك كلمة تتحول هذه فأنا لا أحبها.

فداعبها قائلاً:- ولكنى وقت ما أصير (إيزاك) وأفعل هذا لا أكون سوى حيوان بري لايرفض الطريقة مهما كان سوءها طالما كفُلت له نجاح مسعاه فى صيد فريسته.

فضربت بقبضتها صدره قائلة: لا تقل هذا، لا أطيق سماع أى إساءة تجاهك، حتى منك أنت.

فإبتسم حتى كادت شفتاه أن تلامس أذناه وقال:- إذا فلنكن (حاتم) و(ليفا) فى هذا اليوم دعينا نسترجع ذكريات ليلتنا الأولى.

فردت عليه: - وأنا فى مثل هذه الحالة!

ضحك حاتم قائلا: - أعتقد أنك لن تقاومي هكذا داعبته بإبتسامة فحملها بين ذراعيه ثم وضعها فى السيارة وتوجها إلى الفندق.

وكانت (إيزابلا) فى إنتظارهما لكن (حاتم) قال لها: سأتركك تطمأنى عليها فى الغد، الآن هي لي ...

قبلتها (إيزابلا) على خدها و مسحت بيدها على شعرها، ولم تستطع منع دموعها ، ثم قالت:- حسنا هى لك،، وبعد أن توجه إلى الدرج قالت ليفا:- دعنا نستخدم المصعد،فرد عليها قائلاً لن أدع المصعد يفسد علي لحظات حملك بين يدي، وقبل أن يصعد نادته (إيزابلا)، إلتفت إليها فقالت: - شكراً لك (حاتم).

صعد إلى الغرفة: وضعها برقة متناهية على السرير ثم قال له: سأدعك تنامين هذه الليلة إرتاحي الآن ومن الغد أنتي لي..... سأجلس على هذا المقعد بجوارك أراقبك ،، فردت عليه ليفا قائلة: أشكرك زوجي العزيز لكن سأدعك تقبلني حتى أستطيع النوم .

- لكى هذا ياجميلتي،، قبلها (حاتم) ثم قال:- إنتظرى هناك سؤال يحيرنى، قالت:- ماهو؟

فقال:- كيف للدواء ألا ينسيني التحدث الجيد للإنجليزية، فضحكت قائلة:- اللغة وماتعلمته لن يمحو أى دواء آثارهما،

- أخلدي الآن إلى النوم . ثم إستوى جالسا يراقبها وقد حنت عليه ذاكرته بلحظات فرح جمعتهما سويا إلى أن غلبه النوم .

النهاية

تخللت الشمس نسيج ستائر الغرفة لكن كان هناك صوت آخر أفاق (حاتم)، وهو صوت صافرة عربة الشرطة، لم يكن أحد من العاملين بالفندق قد إستيقظ بعد، نظر إلى أسفل لم يجد أحد قد خرج لهم فقرر النزول، لكنه قبل أن يغادر الغرفة أمتع عينيه برؤية (ليفا) ثم هبط إلى أسفل مستخدما المصعد هذه المرة.

توجه إلى سيارة الشرطة وتحدث مع الضابط وأخبره بأن إدارة الفندق لم تستيقظ بعد لحظات أنبههم وأعود إليك،، إلتفت (حاتم) عائدا إلى الداخل قبل ان توقفه كلمات الضابط: لقد جئنا لأجلك سيد (حاتم).

تجمد مكانه ثم عاود الإلتفات مرة أخرى إلى الضابط قائلا: وقد غاضت الدماء من وجهه: - ماذا؟

فاجابه قائلا : لسنا هنا من أجلك وحدك بل من أجل زوجتك وشقيقتها ووالدتها .

كشفت عين حاتم مدى بلاهته وتعجبه ثم قال: - أعتقد أن هناك ثمة خلط فى الأمور سيدى .

- ليس هناك خلط سيد حاتم ماسمعته هو ماقصدته
- لماذا ؟ لا أستطيع فهم شئ ، هل بإمكانك توضيح الأمور.

- لقد أثبتت التحقيقات أن (إيزاك) لم يمت فى حادثة وأن هناك من قطع مكابح السيارة مما جعله يعجز عن تفادى الحادث

وقد عاودنا التحقيق لمعرفة من القاتل.....

النهاية

obeikan.com